بين يدي الرسول الأعظم(ص)



بسم الله الرحمن الرحیم

بين يدى الرسول الأعظم(ص)

كاتب:

محمد بحرالعلوم

نشرت فى الطباعة:

دارالزهراء

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

بین یدی الرسول الأعظم(ص)

اشارة

سرشناسه : بحرالعلوم محمد، - ۱۹۲۸

عنوان و نام پدیدآور : بین یدی الرسول الاعظم ص / محمد بحرالعلوم

مشخصات نشر : بیروت دار الزهراآ(ع) ، ۱۳۹۲ق = ۱۳۹۹ - ۱۳۵۱ق = ۱۳۵۷.

مشخصات ظاهری : ج ۳

فروست : (فی السیره و التاریخ۱)

شابک : بها:۵۰۰ق ل (ج ۱)

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : کتابنامه

موضوع : صحابه

رده بندی کنگره : BP۲۸/۶/ب۳ب۹ م

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۴

شماره کتابشناسی ملی : م۶۳-۴۶۶

مع الکاتب

لم تکن فصول هـذا الکتـاب قصـصاً، أحـاول فیهـا تسـلیهٔ القـارئ الکریم، کمـا لم یکـن الأساس منها التعریف بأبطالها، فهم أشـهر من التعریف، خلدوا التاریخ الإسـلامی، وصوروا جوانب السـیرهٔ بأحلی صوره.. إنما الواقع هی فصول من السـیرهٔ النبویهٔ الشریفهٔ. رأیت أن أعرضـها بهـذا الأسـلوب بعیـدهٔ عن التعقیـد والإطالهٔ، وبطریقهٔ - أحسب أن القارئ الذی أکتب له - یمکن أن ینشدَّ الیها، ویبقی علی اتصال معها.ونحن الیوم بحاجـهٔ لهـذه الصور الحیـهٔ، وتـذکر هؤلاء الأبطال الـذین عاشوا قضـیتهم الأساسـیهٔ بکل وعی، وأدرکوا بعمق مفهوم الدعوهٔ التی آمنوا بها، فأخلصوا لها، وتفانوا فی سبیلها وضـحوا من أجلها.. فکانوا اللبنهٔ الأولی لصـرح الإیمان والعقیدهٔ والطلیعهٔ الفذهٔ للمجد الإسـلامی، المتسـلق شاهق السنین والممتد عبر الأیام، لن تبلی خضرته، ولن تغرب شمسه.ورجائی من الحق أن یساعدنی علی کتابـهٔ کل السـیرهٔ النبویـهٔ وألحقها بسـیرهٔ آل البیت، الأئمهٔ المیامین، وأکون بذلک قد أرضـیت ضـمیری، وأدیت واجباً دینیاً..ولا أُبالغ إذا قلت: إن دافعی لکتابـهٔ هـذه الفصول - وإن کانت الفکرهٔ تـدور فی ذهنی منـذ زمن - نتیجـهٔ عاملین:الأول: قناعتی الشخصـیهٔ بضـرورهٔ ارتباط الفرد المسـلم علی الـدوام بسـیرهٔ الرسول الأعظم، والأئمـهٔ الطاهرین، والشخصـیات الرائـدهٔ فی الإسـلام، وهذه الصـلهٔ المسـتمرهٔ تحفظ عقیدته من الانزلاق.الثانی: إصـرار أخی العزیز السـید مهدی - صاحب دار الزهراء - بأن أسـهم فی مشروعه، وخاصهٔ هو فی بدایـهٔ الطریق ولیس من باب الأخوهٔ فقط أن أبادر إلی الاسـتجابهٔ له، وتنفیذ طلبه، بل إیمانی بأنه اختط لنفسه طریقاً - فی عمله - إسـلامیاً واضـحاً فی دعم الجانب الإعلامی فی معرکهٔ المصیر.. وهذا ما یدعو إلی التفاؤل له بالموفقیهٔ والاستمرار.وأخیراً: أملی باللّه سبحانه أن یحقق آمال (دار الزهراء) فی خدمهٔ الفکر الإسـلامی ویجند صاحبها فی میدان العقیدهٔ، ویساعدنی علی إتمام هذه السلسلهٔ، ویشق للکتاب طریقه بما یرضی القراء وهو من وراء القصد..محمد السید علی بحر العلوم بیروت۸ / ۱۲ / ۱۹۷۲

فی البدایهٔ

رغم أن فترة من الزمن تمر على مكة والمدينة بعد غزو الجيش الأموى لهما بقيادة مسلم بن عقبة المرى، فإن ذكرى الحوادث المريرة، وصور المآسى القاسية كانت تطغى على كل ناد ومجلس سمر.وكانت جراح مدينة الرسول - على الخصوص - لم تلتئم بعد. فقد غزاها الجيش الأموى بأمر من يزيد بن معاوية، وبعد أن خلعت بيعته، وأمرت عليها والياً جديداً - هو عبد اللّه بن حنظلة بن أبى عامر - وفعل الجيش الغازى ما فعل بوحى من شعوره المجرم وحقده الطويل، ولم يقف بوجهه أى رادع دينى أو إنسانى.ولم يكن نصيب مكة بأقل مما أصاب المدينة، فقد حرقت الكعبة المشرفة ولم يبقَ بيت منها - عدا بيوت الأمويين - إلا سلب ونهب.وكانت حلقات السمر، ومجالس الليل تعج بأخبار هذه الحوادث وفظاعتها بما يعصر القلوب حزناً، ويرهق العيون تأثراً.ومرة امتد السهر بإحدى الحلقات المنتشرة فى فناء المسجد النبوى حتى كادت تحاذى السحر فى سهرتها، أو تتجاوزه بقليل وهى تعيد ألماً على ألم، وتجتر حزناً على حزن.ويلتفت أحد الجالسين إلى صاحبه - وهو متضايق من الحديث الذى يجدد الذكرى المؤلمة، ويعيد عليهم صورة المأساة الفظيعة - قائلاًـ وهو يقطع الكلمات من الأسى: أما آن لنا أن نطوى حديث الأمويين وفجائعهم، ونحاول أن نخفف عن مصائبنا بما يساعدنا على تحمل مشاكل حياتنا.ولم يكن الزميل بأقل منه ضيقاً وبرماً بهذه الأحاديث المروعة، وما أن سمع هذا الرأى حتى استجاب له.وتسرب الإقتراح للباقين، وكأنه أيقظهم من سبات، ونبههم إلى شىء كان قد غاب عن أذهانهم.. وقالوا: ولنا عند الشيخ أبى معاذ ما نبتغيه، فهو محدث رائع، عذب الأسلوب، حلو الكلمة، ورجل مسنّ جاوز عتبة الثمانين، رافق الأيام فكان فيها عيناً لا تغمض، وعاش الحوادث فحفظ من أخبارها الشىء الكبير.ولم يلقَ القوم من أبى معاذ أى امتناع، فقد استجاب للطلب وصادف فى نفسه قبولاً.وصار يحدث أصدقاءه فى لياليه بما سيمر علينا..

حمزة بن عبدالمطلب

أقبل الليل، وأخذ الشيخ أبو معاذ طريقه إلى ندوته واستقبله القوم بالترحاب، وحيّاهم ببسمته الهادئة، وأدار عينيه الذابلتين فى وجوه الجالسين، كأنه يتفحصهم، ويتعرف عليهم وبدَتْ لهم من خلال نظراته العميقة رفة حب، وتصاعدت من بين أنفاسه المتعبة هزة حنان.وبقى الشيخ صامتاً شيئاً من الوقت، ولعله يستجلى ذاكرته فى صور الماضى وأحداث الأمس.. ثم تكلم، وهو يصوغ حديثه بأسلوبه الجميل..ذكّرتنى جلستنا هذه بمجالسنا الماضية، يوم كانت الحلقات تنتشر فى فناء الكعبة، وكنت - حينذاك - أرافق أبى فى سهراته.. وكان حديث الطارق الجديد يدور فيها، وهو السائد عليها.. فقد أقضَّ مضاجع قريش، وأطار نومها من عيونها وشتت صوابها.. حديث محمد ودعوته.ولم يكن رسول اللّه ببعيد عن قريش، ومكة.. فهو: حفيد عبد المطلب، سيد بنى هاشم.. وهاشم، عمرو بن عبد مناف ينتهى إلى عدنان، وهو الذى ما طعمت مكة ولاـ سقيت من يدين أبسط من كفيه، وأندى من راحتيه، وأجمل من خلقه..وما أن نامت عين هذا الانسان العظيم: على هذه الجوانب الانسانية الرائعة، حتى فتحتها على ولده عبد المطلب، شيبة الحمد..وكان هذا الرجل قد بلغ فى قريش خاصة، والعرب عامة منزلة لم يكد يبلغها أحد.. وحتى قالت العرب فيها قولتها المعروفة: (لو كان نبى على عهد عبد المطلب لكان هو نبى العرب).وهو: ابن (عبد اللّه) أحد أولاد عبد المطلب العشرة الذين إذا طافوا بالبيت أخذوا بالأبصار، وجمعوا القلوب الطيبة حولهم.وهو: ذلك اليتيم الذى لم يعرف من حنان الأبوة ما يشدُّ به عظمه، فقد مات عنه أبوه، بعد زواجه من أمه آمنة بنت وهب بفترة قصيرة، فتركه حملاً، أو رضيعاً على اختلاف فى الروايات.فتعهّده جده عبد المطلب - زعيم الهاشميين، وكبير قريش وشخصية مكة، وسيد العرب - فنشأ فى ظله موفور الكرامة عزيز الجانب.. حتى كان يفرش له بفناء الكعبة، فلاـ يقرب من فراشه أحد من أولاده، أو كبار قريش، يهابونه ويحترمونه.أما محمد فقد كان يأتى - وهو صبى - يتخطى رقاب الكل حتى يصل إلى يده، فيزاحمه على فراشه. ويحاول الأعمام أن يمنعوه، فيقول لهم عبد المطلب: (دعوا ابنى هذا، إن له شأناً عظيماً يغبطه عليه الناس).ولم يكن هذا فحسب من الجد نحو حفيده، بل أكثر من هذا، ولماذا لا يكون كذلك، وهو يتكهن لحفيده مستقبلاً خطيراً، وشروقاً لن يغرب؟..وما أن شعر السيد الكبير بدنوِّ أجله حتى طلب ولده (عبد مناف، أبو طالب)، فخفَّ اليه مسرعاً، وعيون

الأولاد، والاسرة ترقب الأب العظيم، وهو على فراش الموت.. وبيد ملؤها المحبة والحنان، يأخذ يد محمد فيضعها بيد أبى طالب ثم يقول له، وهو يصارع الموت: (يا عبد مناف: خلفت فى يدك الشرف العظيم الذى تطاول به رقاب الناس).وتجفُّ الكلمة على ثغر زعيم الهاشميين، وابتسامة الرضا والاطمئنان تطفو مكانها لتزهر وتورق وسط جفاف الأيام.وبدأ محمد يكبر، وتكبر معه الآمال، وكلما تدرج فتى الدعوة فى العمر تضخمت مسؤولية العم الحنون فى الاهتمام بهوالحفاظ عليه.. حتى لم يكن له من قريب او بعيد بأكثر حناناً وأشد إشفاقاً عليه من أبى طالب.ولم يكن كل أولاد عبد المطلب مثل ما كان له أبو طالب حامياً، وناصراً، ومدافعاً، نعم كان حمزة أقرب الأعمام له بعد أخيه عبد مناف.وحمزة تربطه بابن أخيه أكثر من صلة، فقد كان أخاً له بالرضاعة، وكان له ترب الصبا، يكبره بأربع سنوات، وكان يتعهده فى كثير من الأحيان، وكانت هذه بمجموعها عاملاً يقرب بين القلبين، ويؤلف بين الروحين.لقد كان يضمر له من الحب والوفاء أجمله وأحسنه، ويقدر لأخيه أبى طالب موقفه الرائع من وديعة أبيه، بما كان يبذل له من العناية والاهتمام، حتى قال محمد (صلى الله عليه وآله): (كانت فاطمة بنت أسد – زوجة عمى – تجيع أولادها وتشبعنى، وتتركهم شعثاً وتدهننى، ولم يكن لدى عمى أبى طالب همّ إلا حمايتى، والاهتمام بأمرى).وامتدّ الزمن، وعلى امتداده توسعت شخصية (فتى عبد المطلب)، كلّ شىء فيه يدلُّ على أنه شخصية المستقبل ولم تغب عن ذهن حمزة كلمة أبيه – وهو على فراش الموت -: (إن له شأناً عظيماً يغبطه عليه الناس).وكان حمزة يسرّ ويفرح عندما يلمح ابن أخيه، ويكتم سروره ولا يتظاهر بفرحه، كان هذا الميل النفسى ينمو مع نمو محمد، ولا يستطيع تفسيره ولا بد أن يعثر على تفسير ولو بعد حين. ذلك هو الإيمان الذى تولد فى أعماقه وازدهر بعد زمان.ومرت بالنبى أحداث كانت لها الأثر فى رفع الستارة عن شخصيته، وكان حمزة يتابع هذه القضايا بشىء من الإهتمام..ومن أبرزها حينما اختلفت قريش فيما بينها، على وضع الحجر الأسود فى مكانه بعد بنيان الكعبة، فكانت كل قبيلة تود أن تحظى بهذا الشرف الكبير، وكاد النزاع يؤدى إلى معركة واتفق الجميع على أن أول قادم عليهم سيكون هو الحكم فى ذلك، ولم تنطو لحظات حتى كان المقبل عليهم هو محمد بن عبد اللّه واستبشرت الوجوه به، فهو المعروف عندهم ب(الصادق الأمين) وبسط الرسول رداءه، ووضع فيه الحجر فى وسطه، وأمر كل زعيم قبيلة أن يحمل جانباً من الرداء، وإذا ما رفعوه، أخذه ووضعه فى مكانه.ولم يهن ذلك على طغاة قريش، فقال قائلهم: وا عجباً لقوم أهل شرف ورياسة، وشيوخ وكهول، عمدوا إلى أصغرهم سناً وأقلهم مالاً، فجعلوه عليهم رئيساً وحاكماً!! أما واللات والعزى ليفوقهم سبقاً، وليقسمن بينهم حظوظاً وجدوداً وليكونن له بعد هذا اليوم شأن ونبأ عظيم..وكان حمزة فى خضم هذه الأحداث ذلك الإنسان الذى يعيشها ويعيها ويحكم نفسه فيها تحكيماً منصفاً، فيزداد إيماناً وحباً وتفانياً لابن أخيه، ويقف إلى جانب أخيه أبى طالب كافله ومحاميه..ومرت الأيام، وأعلن محمد دعوته، ولم يستجب لها فى بادئ الأمر إلا خديجة وعلى بن أبى طالب، ثم استمرت الدعوة، رغم قلة الناصر، وجدّت قريش فى عرقلة حركتها، وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب، يتحين الفرص، فإذا ما ظفر به وحيداً صب عليه جام غضبه، وسخر منه، وآذاه بأنواع الأذى.لكن ذلك كله لم يثنه عن رسالته، وإلى جانبه أبو طالب وحمزة يقفان له فى كل نازلة يصدّان عنه عدوان الناقمين، ويدفعان عنه ظلم الحاقدين..ومرة جاء محمد إلى عمه أبى طالب يشكو له أذى قريش فقد ألقوا عليه سلى ناقة فقال محمد لعمه: (عم كيف ترى حسبى فيكم)؟! فقال له: وما ذاك يا ابن أخى؟ فأخبره بالأمر فدعا أبو طالب حمزة، وقد توشح كل منهما بسيفه، وقال لحمزة: خذ السلى معك وتوجها إلى القوم، وهم فى فناء الكعبة، فلما شاهد القوم المقبلين توسموا فى وجوههم الشر وإذا ما وقفا على رؤوسهم قال أبو طالب لأخيه حمزة: مرّ السلى عليهم، ومن يعارض اقتله، فامتثل حمزة حتى أتى على آخرهم، فالتفت أبو طالب إلى ابن أخيه قائلاً:هذا حسبك فينا!.برغم هذا فلم تكف قريش عن أذى محمد كلما ساعدتها الفرصة وتقسو معه حيث أمكنتها القسوة.. وكان هو بنفسه لا يرد عليها أذاها، يحتمل منهم الألم، ويطويه بين أضلاعه، اللهم إلا أن يعلم أحد الثلاثة بما أصابه، فيكون الانتقام حامياً، وهم: أبو طالب، وحمزة، وعلى، فيردون الصاع صاعين على المعتدى.وذات يوم يمر النبى عند الصفاة، فإذا بأبى جهل هناك ونفسه الحاقدة تغلى فى صدره، فيلتفت يمنة ويسرة، فلا يرى من يخشى صولته وغضبه، ليس معه أبو طالب، ولا على مقربة منه حمزة، ولا إلى جنبه على، وحيد يلقاه، وهى فرصة سنحت له،

فليستغلها.وينهال الرجل المريض القلب على محمد دون خشية وخوف يشتمه فيجرحه بالكلام، ويسبُّه ببذىء القول، ويفرغ كل حقده الجاهلى، ويظهر كل كوامن حسده.. ورسول اللّه لم يفتح شفتيه ليردَّ عليه، إنه لعلى خلق عظيم، ويأنف أن يقابل هذا الأحمق الجاهل، وإن امتدَّ به العمر.وينصرف بعد ان يسمع منه ما لم يسمع، ويتألم ويحزن ويطوى فى نفسه أحزانه وآلامه.ويسرى الخبر إالى حلقات قريش يقطع أوصال مكة كالعاصفة، ويسبق وصول ابى جهل اليها، ويفرح من يفرح ويحزن من يحزن، ومن يرد عليه؟ والفاعل ابو جهل الشرس الفض، وكثير منهم يرغب بأذى محمد؟ ولا يرغب ان يباشره بنفسه خوفاً من نقمة ابى طالب وبطش آله.وأقبل ابو جهل على قومه يفخر بما عمله، ويزهو بما بدر منه فقد أرقه محمد، وسلب النوم من عينه، فما باله – وقد غنم به – ان لا يسكب كل ما فى نفسه من لؤم كلاماً لا هوادة فيه، إذا لم يتمكن من مهاجمته بالسيف.وكانت عادة حمزة ان لا يعود الى بيته من سفره إلا إذا طاف بالبيت سبعاً. ولا يدخل بيته إلا إذا مرَّ على أندية قريش ومجالسها، مسلماً، ومتحدثاً، ومداعباً، وكان مهاباً مرموقاً ولماذا لا يكون كذلك، وهو من أعز فتيان قريش، وأشرفها وأقواها شكيمة، يعدّ من أبطال الهاشميين، مزهواً بقوته معتداً ببطولته.وانه لفى ذلك اليوم وقد عاد من سفر له، متوشحاً قوسه كعادته توجه إلى الكعبة ليؤدى طوافه، ويقف على أندية قريش يشارك جلاسها أحاديثهم، فينتهى إلى حلقه امرأة، وهى مولاة لعبد اللّه بن جدعان، واستقبلته وقد بدا على وجهها ظل من الحزن، ثم لفت خمارها، وقالت له – ولعل دموعها سبقتها إلى الحديث –:يا أبا عمارة، لو رأيت ما لاقى ابن اخيك محمد قبل قليل من أبى جهل لجزعت، فقد ظفر به، ولم يكن معه أحد، فصب عليه وابلاً من السب الفظيع، والشتم القاسى، وبلغ منه ما يكره ولم يكلمه محمد بشىء..لم يكن هذا الخبر بأقل من وقع الصاعقة على بطل الهاشميين ومادت الأرض به.. شيء لا يطاق، وكبير جداً على بنى هاشم أن تنال مخزوم ما نالت.وغلى الغضب فى قلبه، ودارت الدنيا فى عينيه.. يا للعار.حفيد عبد المطلب وسيد قومه يصاب بمكروه، وعين لبنى هاشم تطرف، الموت خير من الحياة..ولمحت المرأة الغضب يجول على وجه حمزة، ويكاد يقطع أنفاسه، فأدار وجهه، ومضى نحو البيت، وهو يخسف الأرض بمشيته، وعيناه تلقف كل من يلقاه فى طريقه لعله المتطاول على كرامته فيهجم عليه.والمرأة خلفه تهرول، وفى قلبها أكثر من فرحة، فقد ضاقت ذرعاً من شر أبى جهل، إنه الرجل الشرس الفض، الذى يعتدى على الناس، ويرى انه المتفضل فى اعتدائه، ويشاكس الكثير من الضعفاء، ويصيبهم بسوء، ولا رادع يردعه، ولا راد يرده.وهى بهذا التفكير لمحت حمزة قد وصل إلى المسجد، وتخطى الجالسين واحداً بعد الآخر حتى وقف على رأس أبى جهل وانفجر بوجهه صارخاً، والغضب يتطاير من عينيه: أتشتم محمداً يا حقير، ورفع قوسه، وأنزله بعنف على رأسه فشجه، ووقع على الأرض، وكاد يثنى بها، لولا بعض الجالسين فقد حالوا دون ذلك، ثم قال له: أتشتمه يا أبا جهل؟ وتهينه، وأنا على دينه وأقول ما يقول، رد عليّ إن امكنك القول، وتكلم إن ملكت الكلام؟ولم يهن على بنى مخزوم ما أُصيب به زعيمهم، فتواثبوا من هنا وهناك ليأخذوا بثأرهم، ولم يتزحزح حمزة، ولم ترهبه جعجعة السيوف، وقف يتحداهم، وهو يرفع قوسه استعداداً لكل خطب، لم يهب شخصاً، ولم يطأطئ رأسه لأحد.ويخشى أبو جهل العاقبة إذا توسع الأمر، فيطلب منهم أن يخلدوا إلى الهدوء والسكينة، ويتركوا أبا عمارة، لأنه ألحَّ فى سب ابن اخيه سباً قبيحاً.ووصل الخبر إلى النبى (ص) وهو فى بيته، فتنكشف الغمة عنه، ويشكر لعمه حمزة موقفه.كانت هذه الحادثة سبباً لكشف إسلام بطل الهاشميين أسد اللّه، وأسد رسوله، وفى الوقت نفسه كانت بداية انطلاقة جديدة للدعوة، وقوة داعمة.. فأزداد اطمئنان أبى طالب، فقد كان يعمدإلى حماية ابن أخيه حماية مباشرة، ويخشى عليه حتى من ظله، لذا كانت فرحته كبيرة بإعلان حمزة إسلامه.. وهو، وولداه: على وجعفر، وحمزة قوة لا يستهان بها، ويعرف قوة أخيه وبطولته أكثر من غيره، وجرّب شجاعته وإقدامه أكثر من مرة..ولم يكن هيناً على قريش إسلام حمزة وإعلان إسلامه، فقد كانت تهابه وتخشاه، ولامت أبا جهل على تهوُّره الذى يسبب لها الأزمات، ويدفع بأصحاب محمد إلى الصلابة والصمود.وإذا كانت الهجرة إلى المدينة، وغادر الأصحاب متخفين متسللين، فقد شدَّ حمزة ركبه دون خشية، او خوف من طغاة مكة، وهاجر إلى المدينة المنورة ليكون إلى جنب نبيه.وأخلص حمزة لقضيته، ووفى لها، وعقد له النبى أول راية رفت فى الاسلام، فقد أرسله مع سرية له إلى سيف البحر ليقاتل المشركين، وقبل أن يلتحم القتال حلّت بالمعاهدة والاتفاق وكان النبى يحرص دوماً ان

یتجنب القتال.وراحت الأیام تحصد الشوامخ من المواقف المشرفة لبطل الهاشمیین کلها تعبر عن شرف العقیدة، والإخلاص المتناهی.وحلَّ یوم بدر..وتوقف الشیخ ابو معاذ عن الکلام، ومسح بکمه قطرات من العرق انتثرت علی جبینه، ثم غام فی هدوء عارض لم یطاول أکثر من لحظات بعدها عاود الحدیث، وقد أشرق وجهه: کان یوم بدر عظیماً، فقد تجلت فیه البسالة الهاشمیة والبطولة الرائعة، ابو عمارة یجول ویصول، لم یرجع سیفه خائباً یغمده فی صدر ذاک، ویجندل ذلک، ویصیح بأعلی صوته: أین ابن ابی طالب، أین ابن أخی؟ فیجیبه علی من وسط المعرکة: ملتقانا آخر الجیش، ویفریان الحشد المتراکم أمامهما، هذا من جانب، وذاک من جانب، وهما یکبران، حتی یلتقیا فی مؤخرته، وأسیافهما تقطر دماً.ویحث حمزة المسلمین علی القتال، وهو یصیح: قال رسول اللّه: والذی نفس محمد بیده، لا یقاتلهم الیوم رجل، فیقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غیر مدبر، إلا أدخله اللّه الجنة..ثم أردف الشیخ ابو معاذ، بعد صمت قلیل استرد أنفاسه فی خلاله: وکنا قد اجتمعنا یوماً فی مسجد الرسول نستعرض بدراً ومیدانها، فکان الأصحاب یتبارون فی ذکر من قتل بسیف حمزة، وعلی بن ابی طالب، وکیف جندلا الأبطال، وهدّا العمالقة، حتی استغاثت قریشاً من بطولتی: أسد اللّه ورسوله وفتی ابی طالب، وما أوقعا فیها من خسائر فادحة.وبقی هذا الخزی یلاحق قریش وأعوانها، وکان طعم الهزیمة علقماً، وثقل الخسارة مجهداً یقض المشرکین فی لیلهم ونهارهم. وصمموا علی الثأر، تصمیم الموتور، وإصرار المغبون وکان التجاوب فیما بینهم – وخاصة قریش – مساعداً لجمع فلولهم، وکیف لا تکون کذلک، وکل قبیلة أصابها ما أصابها من عار الخسارة الشنعاء عاراً لا یشابهه عار، وخسارة لا تضاهیها خسارة.. ولم یطفأ لهب قریش، ولم یکشف حزنها إلا قتل أحد الثلاثة: محمد، وحمزة، وعلی.ودارت رحی الحرب بین المسلمین والمشرکین حامیة فی (أُحد) تارة علی المسلمین، وأُخری علی المشرکین، کر وفر..وأبو سفیان یجول فی وسط أصحابه یذکرهم بعار (بدر) وقتلاهم، فیها ومجدهم المندثر، ویصرخ ملء شدقیه: لا بدَّ من جولة تطیح فیها الرؤوس، وتزهق بها الأرواح، وتعتلی السیوف القمم، عند ذاک أما: الثأر أو الموت..وکل موتور یتصید واتره، لعله یخفف من حزنه بما أُصیب.وکان جبیر بن مطعم موتوراً من حمزة بقتله عمه طعیم بن عدی یوم بدر، وکانت هند بنت عتبة زوجة أبی سفیان موتورة من حمزة بقتله عمها یوم بدر، وهناک البیوتات الکثیرة من قریش وغیر قریش موتورة من علی، وحمزة.ویوم عزمت قریش علی الخروج لقتال المسلمین عاهد جبیر بن مطعم عبده وحشی – وکان عبداً قویاً – إذا قتل حمزة فقد عتقه..ومالت الیه هند بنت عتبة تمنیه وترغبه علی ذلک، وهی لا تقل عن صاحبها جبیر حقداً وغیظاً، کما لا تتضاءل عنه سخاءً وکرماً، تقول له: نفذ ما قاله لک سیدک، ولک منی ما ترید وکررتها ثلاثاً.قال العبد: سأبذل قصاری جهدی، فإن مت خلصت من حیاة الرق، وإن فزت تحررت، وفی کلا الأمرین لی خلاص..ودقت طبول الحرب، المشرکون بعدتهم وأبطالهم، والمسلمون بعددهم القلیل، وعدتهم الضئیلة.وعین وحشی ترقب حرکات البطل وتنقله بین الصفوف وهو مثل الجمل الأورق [۱] ، یحصد المحاربین بسیفه، ویتمایل الأبطال عن طریقه، تخشی بطشه، وتخاف بأسه، فلم یخرج الیه مبارز إلا ولاقی مصرعه، ولم یتصدَّ له أحد إلا وعاد مهزوماً أسد اللّه، وأسد رسوله.. کرّار غیر فرّار.یقول وحشی: کنت أتهیأ له، اریده، وأستتر منه بشجرة او حجر لیدنو منی، وأنتظر اللحظة التی أرمیه فیها بحربتی.والفارس المغوار فی غفلة عن عدوه، لا یلتفت، ولا یعرف من أمره شیئاً، حتی إذا ما قرب منه، اندفع الیه، ورماه بحربته، فأصابت منه مقتلاً، ووقع صریعاً.. ولما تأکد من موته ذهب الیه، وأخرج حربته، وجری مسرعاً لجبیر یبشره لیملک حریته، ویخبر هنداً فیتمنی علیها ما یرید.وسری الخبر یمض فی قلوب المسلمین، ویبعث السرور فی نفوس المشرکین، هذا حمزة بطل الاسلام، وأسد اللّه، وساعد محمد، مجندَل فی المیدان، یا لفرحة الشامتین..وخفت أوار الحرب، وطافت نساء مکة بین القتلی تسبقهن هند، وهن یرقصن فرحاً، ویجدعن أُنوف قتلی المسلمین، ویبقرن بطونهم، ویقطعن آذانهم.ولم یشفِ غلیل هند کل هذا، أین حمزة؟ فقد أخبرها وحشی بأمره، وإنها لتخوض فی الدماء والجثث إذ تعثر بحمزة وهو یتوسد التراب.أصحیح أن بطل الهاشمیین صریع فی المیدان؟ إنه بغیتها وتجلس علی صدره – وفرحتها تکاد تقضی علیها – بماذا تبدأ وکیف تعمل؟ تقطع أوصاله، لا لا یهدأ خاطرها، تسمل عینیه، لا یطفی لهب حقدها، تقطع لسانه، لم یجدها.. أکثر من هذا تریـد.. لتستخرج کبده فتأکله. وفعلت، ولکن لم تتمکن من أکله، لفظته مقهورة، جازعة، ثم لتعمل قلادة من أجزائه: أنفه،

اذنيه، لسانه، عينيه، ثم بقرت بطنه، وقطعت أوصاله.. ولم يبقَ لـديها ما تفعله، فتركته وهى تتهادى نشوانـة بفعلتها حتى قال المشاهدون عنه: ما مُثل بأحـد كما مثل بحمزة..وانسابت دموع الشيخ أبى معاذ، فأمسك عن الكلام قليلًا كى يمسح ما علق فى أجفانه من حبات الوفاء، فقـد تذكر الشيخ المنظر المروع، فهاجت أحزانه، وضايقته عبرته، ثم عاد بعد هنيهة يواصل حديثه: واستقبل أبو سفيان زوجته وهى ترقص، وفى صدرها قلادة من أعضاء إنسان، والتفت الرجل لزوجته متسائلاً. فأخبرته فضحك ضحكة طويلة، وصاح: أين تركتيه؟ قالت: على مقربة من العين.وانطلق يعدو، ولا يدرى كيف يطوى طريقه، حتى وقف عليه وشاهده مقطعاً، ولم يكتف بذلك بل أخذ يمزق شدقى الصريع برمحه وهو يضحك، فمر عليه أحد الاعراب، ورآه فى موقفه المخزى، فقال لصاحبه، أنظر يا أبا عروة سيد بنى عبد شمس يصنع بإبن عمه ما ترى، إنه يجهز على ميت.فالتفت اليه أبو سفيان قائلًا: ويحك اكتمها عنى، ولا تفضحنى عند العرب.كان منظر حمزة، وهو مقطع الأوصال، أوجع منظر أثر فى قلب النبى، ثم سجاه بغطاء، وقسم من حشيش الأرض.ومع كل ما أصابه من حزن فى هذا الموقف الدقيق، فقد أبّن بطل الاسلام بقوله– وهو يصارع احزانه–:)رحمك اللّه يا عم، فلقد كنت وصولاً للرحم، فعولاً للخيرات، فو اللّه لئن ظفرت بهم لأمثلن بسبعين منهم(.إنها الحميّة والثأر دفعت بالرسول الأعظم ان يتعهد بهذا الثأر لعمه المؤمن الشهيد، بعد ان هزَّه الموقف هزاً.. لكن اللّه سبحانه أراد غير ذلك، فقد نزلت الآية الكريمة:)وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين، واصبر وما صبرك إلا باللّه..(.وهكذا انتهت حياة بطل الاسلام حمزة بن عبد المطلب صفحة مشرقة تنير للأجيال دروب العقيدة والكفاح، والصمود والبطولة...

ياسر بن عامر

واجتمع القوم إلى محدثهم فى ليلتهم، ولم يكن شوقهم إلى أحاديث الشيخ أبى معاذ بأقل مما مضى، إنما كان يزداد ارتباطهم بمحدثهم على مرور الليالى.واستعد للحديث، وهدأت الأنفاس، وارهفت الآذان وانشدت العيون اليه، وقال: رحم اللّه آل ياسر، فقد كان لهم شأن كبير فى الإسلام..قال صديق العمر لياسر: هل لك – يا أبا عامر – أن تعدل عن رأيك؟.قال ياسر: لا.. لا فائدة لى فى البقاء هنا، فلا بد من الرحيل إلى الحجاز، علنى أتمكن هناك من العيش فى رخاء.ماذا دهاك! أتراك نسيت أن البلد الذى عركت خيره وشره وعرفت سراءه وضراءه، خير لك من بلد لم تعرف عنه شيئاً!!ثم ان مكة اليوم ليس من السهل أن ترى فيها الظل الوارف والعيش الرغيد.ومع ذلك – يا زفر – فإن البعد عن اليمن هو وحده كافٍ لاستقرار البال.وإلى هنا انقطع الحديث بين الصديقين، وابتعد كل عن الآخر وفى نفس (زفر) شىء كثير من عدم القناعة والرضا على سفر صديقه ياسر بن عامر، ترب الصبا، وحبيب الشباب، وكلما حاول أن يثنيه عن تحقيق فكرة الرحيل لم يتمكن، فإن ياسراً قد سأم العيش فى اليمن، وضاق ذرعاً بها، فقرر الرحيل مهما كلفه الأمر.وقبل أن تسرج الشمس أضواءها شد ياسر على راحلته ووطدها لسفر طويل وتهيأ للسير، ولم يكن فى وداعه إلا خله الحميم زفر، وجار له كان يرفق به.وجدَّ السير يطوى الفيافى والقفار، حتى لاحت له مشارف مكة من بُعد، فطابت نفسه، وقرَّت عينه لتحقيق رغبته.واستراح عند تلعة من تلاع الصحراء المنتشرة قرب مكة وهومت عيناه، وطافت به سنة عابرة، أيقظته حركة قافلة صغيرة مارة، وما ان فتح عينيه، ولمح أمرها قام واستعد مقتفياً أثرها ليتمكن بواسطتها من معرفة الطريق الذى يوصله إلى البيت الحرام، فهو غريب لم يلج هذه الأرض من قبل.ووصل إلى البيت الحرام، واتخذ من فنائه ملجأ يقيه ظهيرة الحجاز المرهقة، وقبل أن تلملم الشمس أطرافها، بدأ القوم يتوافدون – كعادتهم – إلى الكعبة، ففى أرجاء هذا المكان تنتشر مجالس السمر، وتعقد حلقات الأدب.وأخذ الطارق الغريب يتفرَّس فى وجوه الجالسين، فلم يجلب انتباهه أحد إلا أبو حذيفة بن المغيرة، فهو رجل بدت عليه مظاهر الكياسة والخلق والطيبة.ولمح أبو حذيفة تطلع الغريب اليه، فقام مرحباً به، وهو يسأله: أغريب أنت يا أخا العرب؟– نعم وحق هذا البيت.– إذاً فأنت ضيفى.– شكراً لك يا سيدى..وهكذا ابتدأت صلة ياسر بأبى حذيفة، ويأخذ مكانه فى تلك الحلقة، حتى إذا حان وقت الإنصراف صحبه مضيفه إلى داره ليحل فيها ضيفاً مكرماً عزيزاً.وعلى مر الأيام تتوطد صلة ياسر بصاحبه، حتى بات لا يفارقه كالظل، فقد لمس

أبو حذيفة في صديقه وفاء لا مثيل له، وصدقاً متناهياً، واندفاعاً قوياً للعمل والإخلاص له.واشتدت أواصر الصداقة والمحبة بينهما.. فيخلص كل منهما للآخر إخلاصاً عجيباً، بحيث بات أبو حذيفة يفكر في أمر ياسر ويهتم لزواجه.فيزوجه أمته (سمية بنت خباط)، ويعمل جاداً في مساعدته لتكوين دار له، بعد أن أصبح رب بيت له زوجة، وولدين ويبقى حليفاً لأبي حذيفة ووفياً له، فهو صاحب فضل عليه..وتدور في أندية مكة أحاديث تكاد تلتهمه عائلة آل ياسر بإيمان وعمق.. حديث دعوة محمد (صلى الله عليه وآله) إلى الإسلام.وراحت قريش تبذل الغالي والنفيس في إخماد هذه الدعوة التي تهدد مصالحها، وتقبر آمالها وأطماعها، وتضع كل ما في وسعها من عرقلة لإبعاد الناس عنها..وتسرب النبأ همساً، لكنه كوقع الصاعقة على طغاة مكة يا لهول ما يسمعون، إنه شيء كبير جداً، وغريب جداً، ومستحيل جداً.. حتى هذه الأسرة الضعيفة صبت لهذا الدين الجديد.ثم يقول قائلهم: لنتأكد من هذا الأمر، وإذا صح فلنحسب له حساباً.. إن هؤلاء المستضعفين من هذه الديار هم يشكلونالخطر الأكبر على ديننا، وآلهتنا، وان محمداً يسحرهم بأقواله إذ يدس لهم بأنه (لا فرق لأبيض على أسود إلا بالتقوى) وهذا موضع الخطر.وينتفض الحانق الغاضب كأنه أصابه مَسّ من جنون: أنا لكم، سوف أكتشف أمر هؤلاء.نعم ما تصنع يا ابا جهل، ولا تكن متهوراً في بادئ الأمر.ويرسل ابو جهل عيناً خفية إلى دار الأرقم – مركز التجمع المحمدي – ليرصد أحداً من آل ياسر هل تضمه تلك الدار كما تضم العديد من أولاد الأسر وغيرهم.وإذا كان الحانقون على هذه الدعوة لم يتمكنوا من معاقبة أولاد الأسر والذوات والمتنفذين، فليلقنوا هذه الأسر الضعيفة درساً قاسياً، ليكونوا عبرة لمن اعتبر.ويعود الرقيب إلى حلقة ابي جهل، وهو يهتز ويرعد، لقد هاله ما رأى.. وبين الغضب والحنق يقول: لا واللات والعزى لا يكون هذا، كفى سخرية وهزءاً.. عائلة دخيلة على مكة أحسنت وفادتها بنو مخزوم، وعاشت على فتات موائدها، تخرج علينا، فتقابل بالإساءة.. يا ويل لهم من غضبنا!.وغامت الدنيا في عين ابي جهل، وهو يسمع حديث صاحبه ويضرب كفاً بكف، ويصك على أسنانه حقداً وغيظاً، ويصرخكالوحوش: هذا ما كسبناه من ابي حذيفة.. لا كان ذلك ابداً.. سوف أقتلهم جميعاً، وأطفئ بهم غضبنا.ويخطو عمرو بن هشام خطوات، حتى صادف ابا حذيفة مقبلاً عليه، ولم يكن بركان حقده قد خمد بعد، وقبل ان يبادره بالكلام، صرخ في وجهه ابو جهل: – يا ابا حذيفة، لا نحتمل منك هذه الإهانة، رد صاحبك اليماني عن كيده، وإلا رددناه بسيوفنا، وأنت تعلم انها مسلولة في وجه أعدائنا.وغارت عينا ابي حذيفة من الغضب، ولم يتحمل من هذا الطائش ثورته، فامتشق حسامه، وكاد يهجم عليه، وهو يقول له: أتهددني بالقتل؟ سوف لن يكون جوابي لك إلا السيف إن عدت لمثلها.وانسحب ابو جهل وهو يتلعثم في المشي، وتأزم الجو بسبب هذه الحادثة، مما اضطر المشركين ان يعقدوا اجتماعاً عاجلاً يضم رجالات قريش، وزعماء القبائل المناوئة للدعوة الجديدة وقرروا: ان كل من تصبو نفسه لدعوة محمد ويساعدها وينخرط فيها، يستحق التعذيب والتأديب، وإذا تمادى فجزاؤه القتل ودمه هدر بين القبائل.وما كاد الاجتماع ينتهي حتى نهض ابو جهل الى مضارب آل ياسر، يسومها الأذى والعذاب.. ولم ينتهِ عمر تلك الليلة حتى كانت هذه الأسرة كلها في قبضة الجلاوزة الغلاظ من قريش وممن أعمت بصائرهم الدعوة الاسلامية، كمداً وحنقاً.وسرى الخبر في الحلقات ان ابا جهل ألقى القبض على هذه الأسرة، وتقاطرت الناس على حي بني مخزوم ليشهدوا حساب ياسر وأهل بيته.وخيّمت فترة صمت مزقتها أصوات مقبلة، فاتجهت الأنظار اليها. كان بعض أفرادها مقيَّدين بالحديد، تنهال عليهم السياط وسط مجموعة من الأشداء يتقدمهم رجل بني مخزوم: ابو جهل.وكان من بينهم رجل قد تخطى عتبة الكهولة، هدمته الأيام وخلفه امرأة لا تختلف عنه بالسن كثيراً، وإن كان الضعف والهزال قد ألَمَّ بها أكثر من زوجها، وفتى يافع في ريعان الفتوة ونضارة الشباب يسير من ورائهما.أقبلت هذه الأسرة وقد بان عليها الجهد، الحديد أثقلها والعذاب أتعبها، خلفها عدد من الجلاوزة، بأيديهم الحراب والسياط، يطعنون بها أسراهم كلما تراخوا في السير، والعصي تلقف أجسادهم، كلما لذ لهم أن يتضوروا، والحجارة تنهال عليهم من الأطفال والنساء كلما أقبلوا على جماعة.وتقف الأسرة الصامدة أمام حشد من طواغيت قريش وهالهم ان كل هذا العذاب والتعذيب لم يؤثر في معنوياتهم.وكان أبو سفيان من تلك الشلة التي قدمت لتشهد تعذيب هذه الأسرة، وقد امتقع لونه، وجثمت على وجهه عتمة شوهت سحنته، وهو يطحن بأضراسه الكلمات التي يتفوه بها.ايه يا حليف مخزوم، هل صبوت إلى سحر محمد؟وبقلب ثابت لم

يزعزعه العذاب، ولم يهدّه التنكيل يتهادى الرد عليه من هذا الرجل المثقل بالحديد، كأنه السهم يقطع أوصاله دون ما رحمة.- لا تقل يا أبا سفيان – سحر محمد – بل نوَّر اللّه قلبى بدين محمد، وهدانى بهديه إلى صراطه القويم.وضج القوم، وطارت عيونهم من الهلع، وانفتحت أفواههم تعجباً، وخفقت قلوبهم رعباً، ماذا يقول هذا الرجل الدخيل على ديارهم. إن جوابه لا يطاق، ويهتز أبو جهل، ويرتعد بحيث لا يسيطر على السوط الذى بيده من شدة الغضب، ويحاول أن يهجم عليه فيقطعه بأسنانه، فيمسكه أُمية بن خلف، ولم يكن هو بأقل من أبى جهل غضباً وحنقاً، ولكنه يتظاهر بالهدوء والسكينة ويخاطب ياسراً: اما كفاك أن تصبو أنت لسحر محمد، حتى أخذت معك هذه المرأة وهذا الفتى تقربهم من نبيك، وتعلمهم على دينه وتنفث فيهم من سحره وتتجاهرون بالخروج على آلهتنا..وكأن الأسرة كانت على موعد لجواب موحد، فقد ردوا عليه مرة واحدة غير هيابة للنتائج والعواقب المترتبة عليه: صه يا حقير، لا تتهم رسول اللّه بالشعوذة والسحر، انه لم ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى، علمه ربه شديد القوى، ولقد هدى قلوبنا بكتابه، وأنقذنا من عمى الجهالة بنور دينه..وعلا الضجيج من جديد، وجن جنون الطغمة الفاسدة وانهالت السياط والحراب على أجسادهم دون شفقة.وبكل إيمان يلتفت ياسر إلى أهل بيته يصبرهم، ويشد من معنوياتهم، قوّى الإيمان عزيمتهم، وشدَّت العقيدة أطرافهم. وتتلاقى العيون بعضها ببعض، فتبتسم الشفاه ابتسامة الرضا والقبول، كل ذلك فى سبيل اللّه، وكل ما كان فى سبيله فهو بسيط ومقبول، وهذا ما بشرهم به نبيهم محمد.وكلما تجسدت الصلابة فى هذه الاسرة، ازداد ابو جهل وجلاوزته حدة فى عذابهم، وعنفاً وقسوة فى معاملتهم.ويقول لقومه – فى مجلس سمرهم –: شد ما يعذبنى من ياسر وأهل بيته صمودهم وصبرهم، نذيقهم انواع العذاب فلا يتضورون ونصبُّ عليهم غضبنا فلا يبكون.. لقد تاقت نفسى ان أسمع بكاءهم، أو اشاهد تضورهم، فأشفى بذلك غليلى.ثم يلتفت زعيم بنى مخزوم إلى احد أعوانه يأمره ان يأتى بالأسرى لتنعم عيونهم ساعة بتعذيبهم.ولم يمر وقت حتى كانت الاسرة أمامهم، فطرحوهم فى الرمضاء اشبه بالعراة، وبدأت مكاوى النار تصهر أجسادهم وتخمش جروحهم، والسياط تتلوّى على أجسادهم المنهوكة فتحيلها إلى خطوط زرقاء، وتنهال الحراب بكل قسوتها تمزق ظهورهم، ولم تنبس شفاههم بكلمة، وعيونهم نحو السماء شاخصة.ورغم كل هذه الأنواع التى يلقاها آل ياسر من هذه الطغمة كانت فى الوقت نفسه تتعملق فيهم روح الإيمان، وتضرى فى أعماقهم الصلابة والصمود، بحيث تصبح صلدة تمزق ظلم المشركين وتتحدى طغيانهم.ويقف الرسول الأعظم على حال هذه الاسرة، ويحز فى نفسه ما يعانيه ياسر وأهل بيته من طغمة الأشرار، ويرفع طرفه إلى السماء ويدعو اللّه من أعماقه: (اللهم اشدد على آل ياسر بالصبر. إن موعدكم الجنة)... فتشرق الوجوه المعذبة، وتهلهل العيون المرهقة، إن لدعاء الرسول أثره العظيم فى تقوية معنويات هؤلاء الأسرى.. فلقد خفف عنهم هول العذاب، وأزاح عنهم كابوس الألم والوحشة.وماتت سمية من التعذيب أمام ياسر وعمار، وهى تلهج بذكر اللّه، ولم يزعزع هذا المنظر موقف الأسيرين.. بالعكس، إنما ازدادا إيماناً وصلابة.وفى ليلة ثقيلة الظل هومت عين ياسر، ثم انتفض، وهو يبتسم، ويزحف لولده المتظاهر بالنوم.ويلتفت اليه عمار، فيهمس بصوت أتعبه الألم: ماذا بك يا أبتاه؟ ويطبع على شفتيه الذابلتين بسمة مضيئة، كأنها فرحة العطر، وصحوة الورد.وبين الفرحة والثناء تنساب الكلمات من فم الأب المضرج بالدماء: يا عمار، رأيت حلماً ما أجمله. كأن هذه الصحراء روضة غنّاء، فى وسطها امك تلف خمارها على رأسها تبتسم لى وتقول: إننا بانتظارك يا أبا عمار!!وقطع عليهما الحديث شبح يقترب منهما.. مَن هذا القادم فى سكون هذا الليل؟ ولم يتمكنا ان يميزا الصورة لتجمد الدم على عيونهما.ودوت ضحكة مزقت سكون المساء، عرفا منها صوت ابى جهل الوحش، فتعوّذا باللّه من شره.ووصل اليهما، وهو يتخابث، ويراوغ: لعلّى روعتكما وأقلقت عليكما نومكما، أحسب انكما كنتما فى نجوة.- لا يا ابا جهل، لم تذقْ عيوننا طعم النوم.- لقد علمت بأنكما عدتما إلى رشدكما، ونبذتما سحر محمد ودينه.وتلوّى ياسر، وكأنه أُصيب بعمود على رأسه، وصرخ – وإن كانت صرخته لم تبلغ مسامع الظالم إلا بمشقة –: – يا ابا عكرمة، والذى نفسى بيده لن اترك دين محمد مهما أوغلتم بتعذيبى وقاسيت منكم ما قاسيت، وسوف أحاسبكم بين يدى جبار السماوات والأرضين، وأقتص منك – يا لكع الرجال يا وغد، يا جبان – ساعة الحساب.وهاج ابو جهل، وهو يسمع من هذا الأسير ما لا يرضاه وجنَّ جنونه، فهجم عليه، لا يدرى كيف يهدم سكون الليل على هذا الرجل المتطاول

العنيد. ولم تشرق شمس ذلك اليوم حتى كلَّت يد السفاك الأثيم مما أنزله من عقاب على هذين الجسدين. وعاد إلى بيته، وهو يعض على شفتيه تأثراً.. لقد كلَّت يداه ولم يشبع نفسه من تعذيب ياسر وولده. له كرّة اخرى، فى ظهيرة اليوم.ولم يكد يفرغ ابو جهل من عملية التعذيب، حتى يشعر ياسر بأن شيئاً غير طبيعى يجثم على صدره، ويأخذ عليه مسارب أنفاسه، فيجهد نفسه للتحدث مع ولده، فتخرج الكلمات مجهدةمقطعة، وتغور عيناه، وتذبل شفتاه، ويجف ريقه. إنها حتماً ساعة الخلاص.فى نفس ياسر ان يوصى ولده عماراً. ويزحف، ولكن المحاولة تفشل فقد ثقل جسمه، ولم يعد يمكنه الحراك.وعمار ليس ببعيد عن حال أبيه، إنه يرقب كل هذه الطوارئ عليه، ويزحف اليه، وصدى الحديد فى جسم الابن يناغى حشرجات الأب المسجى، وفى عينيه دمعتان تجولان: دمعة فرح، ودمعة حزن.فراق أبيه عزيز عليه، لم يمض على فراق أمه إلا أيام معدودة وهذا الموكب الثانى يلحق به، ما أقسى القدر.والشهادة فى سبيل الحق فخر كبير، أُمه أول شهيدة فى الإسلام، وأبوه ثانى شهيد من الرجال.وبين حشرجات الموت، وومضات السعادة تنبعث الكلمات من الفم الطاهر: عمار: لا تمل عن دين محمد، واقرأ رسول اللّه عنى السلام وليدعُ لى، ولأمك بالرحمة..وينطفئ السراج، وتنتهى المناجاة بين الأب والإبن، ويشاهد الجلاد هذا المنظر فيطير منتشياً فرحاً، ويهرول لأصحابه، وهم فى حلقة السمر يخبرهم عن نهاية ياسر.وتعلو القوم سحابة دكناء، وينتفض أبو حذيفة وقد هزَّه المصاب، ويصيح فى وجه الطاغى: حسبك يا أبا عكرمة من القتل، كفاك ما أصاب سمية وياسراً، وإياك أن تعمل بعمار ما عملت، عذاب دون الموت.وفى دار الأرقم ينتشر النبأ، ورسول اللّه قد ألمَّ به التأثر وهو يردد: (صبراً يا آل ياسر، إن موعدكم الجنة، اللهم احفظ عماراً من شر الطغمة الحاقدة، وأخذ بثأره).

سلمان الفَارسى

وأقبل الشيخ أبو معاذ فى ليلته مشرق الوجه، واستقبل مستمعيه برحابة وتكريم وانعقد المجلس، وكل من الحاضرين فى شوق لحديثه.. وقال:إن سلمان الفارسى - يا قوم - ما سجد لمطلع الشمس - كما يفعل المجوس وإنما كان يسجد للّه عز وجل، وكان أبواه يظنان أنه يسجد كهيئتهم.. وممن ضرب فى الأرض يطلب الحجة، فلم يزل يتنقل من بلد إلى آخر، ومن كنيسة إلى مثلها، ويبحث عن الأسرار، ويستطلع الأخبار، ينتظر أن يحظى بالنبى الذى أخبر عنه فهو ضالته، وأخيراً عثر على ما يريد، وأتم حياته كأحسن مسلم تفهماً للدين، وتفانياً فى سبيله.لقد كان سلمان فى السابق من أهل أصبهان، وأبوه دهقان قريته، يحبه بشكل يعجز عنه الوصف، ومن جراء هذا كان يخشى عليه، فيحبسه فى بيته تماماً، كما يفعل بالجوارى.. وكان أهله مجوساً يعبدون الشمس، ويوقدون لها النار، وصادف أن مر سلمان على كنيسة فدخل بها، ولمح أهلها يصلون، ويتضرعون إلى اللّه، فأعجب بهذا اللون من العبارة، وفضلها على طريقة أهله، لأنه فى أعماقه لم يؤمن بالصلاة للشمس..وكانت هذه الانطلاقة منه - فى التحقيق عن الدين - قد جرّته لأن يجول فى البلدان، يطلب دين اللّه، فقيل له بالشام فقصدها، وعاش فى كنيستها برهة من الزمن ثم انتقل إلى الموصل يخدم ويتعبد فى كنيستها، ومنها إلى نصيبين، وأخيراً قيل له: إن فى كنيسة عمورية من بلاد الروم رجلًا صالحاً يدله على الحقيقة فشدّ اليه الرحال وبقى ملازماً لكاهنها مدة طويلة، يتلمس فيه الإيمان، والطيب، والوفاء ولما دنت من الرجل الوفاة - وكان يحفظ لسلمان اخلاصه - دنا منه، وطلب أن يرشده على الحقيقة وإلى أين ينتقل من بعده؟ - وبين لحظات الموت والحياة - قال الكاهن: أى بنى، والله ما أعلم أنه بقى أحد يستحق أن آمرك بالذهاب له، ولكن سيبعث نبى فى هذا الزمان، يأتى بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب، مهاجره إلى أرض بين حرتين [۲] بينهما نخل، به علامات لا تخفى: يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة وبين كتفيه خاتم النبوة.. فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.. وانقطع نفس الكاهن، وذبل النور فى عينيه.وهز الحديث سلماناً، وأخذ منه مآخذاً، وبقى ينتظر اللحظة التى تساعده على السفر إلى تلك الديار ساعة بعد ساعة، يتحين الفرصة، ويتطلب القافلة.وانتشر الخبر فى عمورية أن قافلة من العرب تعمل بالتجارة وصلت البلد وهرع اليها سلمان يتعرف على حالها.. إنها من قبيلة (كلب) احدى قبائل العرب ومرت أيام ولملمت القافلة أمرها وأعلنت عن سفرها، فاتفق معها على أن يعطيها كل ما يملك من بقرات، وأغنام، مقابل وصوله إلى (مكة). وتم الاتفاق وسافرت القافلة تطوى القفار، ولم

تبلغ أطراف مكة، حتى عمد أصحاب القافلة عليه، وأسروه، وباعوه الى يهودى، فأخذه الى قريته يخدمه..ومرَّ على سلمان عهد فى خدمة هذا اليهودى، ولكنه لم يقطع الأمل فى نفسه، فقد رأى القرية يكثر فيها النخل، فرجا أن تكون هو المكان الذى يطلبه من وصف الكاهن وبينما هو عند صاحبه إذ أقبل ابن عم له من بنى قريظة يسكن المدينة فأعجب به فابتاعه واحتمله اليها.. وسرَّ سلمان بهذا العمل، وكتم فى نفسه فرحة عظيمة، عندما عرف المدينة، وانها التى وصفها له صاحبه، والمكان الذى سيلتقى فيه بالنبى.وكانت الأيام تدور فى مسيرتها، لكنها ثقيلة الظل على هذا المتلهف لمعرفة الحقيقة.. وفى صباح ترهق الشمس ساعاته، أخذ سلمان عدته، وذهب لإصلاح بعض النخيل، وجاء صاحبه واستقر تحتها، وهو يرقب عمله، وأقبل عليه أحد أقربائه وجلس الى جنبه، وأخذ يحدثه، وهو لاـ يعلم ان هذا الحديث يهم سلمان قبل كل أحد، قال اليهودى لقريبه: قاتل اللّه «بنى قيلة»، إنهم الآن مجتمعون بقباء [۳] على رجل قدم عليهم من مكة اليوم، يزعمون انه نبى..وتهادى النبأ الى أسماع سلمان، فتأخذه الرعدة، ويكاد يسقط من أعلى النخلة، ويشدّ على نفسه من الانزلاق، وينزل وهو مضطرب، ويهرع الرجل فيلح عليه بالأسئلة، يستطلع منه جلية الخبر، فيغضب صاحبه منه، ويلكمه لكمة قوية يكاد يسقط من شدتها، فيتمالك، ويصمت، ويبقى واقفاً أمامه فيصرخ فى وجهه مالكه: إذهب الى عملك، ما لك والدخول فى مثل هذا الحديث.ويطوى سلمان أسئلته وشوقه، ويتجه لعمله، فيتشاغل به ريثما ينفذ أمراً كان قد قرره لحظة تصميمه على إجلاء الحقيقة.وأقبل المساء، وانتشر الظلام فى المدينة، وحمل سلمان أكلاً معه، وتسلل الى رسول اللّه فى قباء.. ودخل عليه، وتطلع فيه ثم قال له: بلغنى انك رجل صالح، ومعك أصحاب غرباء وهذه صدقة عندى، أنتم أحق بها من غيركم، ويقدمها للرسول فيقبلها منه ويدعو أصحابه لأكلها، ويمتنع هو عن الأكل.ويقول سلمان فى نفسه، ان هذه إحدى العلامات،فقد أخبره صاحبه الكاهن انه لا يأكل الصدقة.. وينصرف ويعود بعد ليال، ومعه حاجات اخرى، ويدخل على النبى، ويقول له: هذه هدية أرجو قبولها، فيأخذها، ويشكره على ذلك.. وتطفو على سلمان إشراقة الفرحة، انها العلامة الثانية، لا يقبل الصدقة، ويأخذ الهدية.ولم يدر سلمان كيف تنقضى الأيام انه يحسبها دقائق وثوانى لكى تسنح له الفرصة، وتشاء الصدف ان تواتيه، فيتبع النبى ببقيع الغرقد – وهى مقبرة المدينة – ويدخل عليه، ولم يستقر به المكان حتى يستدير بنظره الى خلف الرسول، فيلتفت ماذا يريد، ويلقى الرداء عن متنه، ويظهر خاتم النبوة. فشهق سلمان، وسقط على كفى النبى يقبلهما، ويبكى فرحاً، وقص عليه قصته..وبقى ملازماً له، يتفانى فى إخلاصه، وإن كان لم يخرج معه لمعركة بدر واحد، لأنه رقّ، ثم لم يمكث ان قال له الرسول كاتب صاحبك، واتفق معه على تحريره من العبودية، وطلب منه صاحبه أن يغرس له ثلاثمائة نخلة، وهذا المطلب كبيراً بالنسبة لسلمان الذى لا يملك قيمة هذا النخل ليؤديها له، وعرف الرسول ذلك، فالتفت الى أصحابه طالباً منهم أن يعينوا أخاهم سلمان على فكاك رقبته، فجمع له المقدار المطلوب، وشريت النخيل وغرست، وأصبح حراً بعدها.ولازم سلمان النبى فى المدينة، وآخى بينه وبين أبى الدرداء وكان بعد ذلك إذا نزل الشام حلّ عند أبى الدرداء.وأطلَّت السنة الخامسة، وقد مرَّ على «أُحد» سنتان واقتضت مصلحة الرسول أن يُجلى بنى النضير الى خيبر لنقضهم العهد. ولم يهن ذلك عليهم، وبيَّتوا على النبى أمراً خطيراً فقد عمدوا الى القبائل من قريش وغيرها يحرضونها على قتال محمد.. وصادف ذلك قبولاً فى نفوس قريش وغيرها.. فلم تكن ثارات بدر قد أخمدتها أُحد، ولم تكن أُحد نصراً ضد النبى لتخمد أحقاد الجاهلية.وإذا كانت المعركتان «بدر وأُحد» قد أدارتها قريش ومن تبعها من أعوانها، فان فى هذه المرة قد شدَّت سواعدها اليهود، وصارت تثير اللهب وتجمع الناس، ولم يمر زمان حتى صار عدد الجيش المحارب يقدر بعشرة آلاف يقودهم (ابو سفيان).ولم تكن قريش، وغطفان، وجيوش اليهود، إلاـ حركة موحدة تجمعت من هنا وهناك لترفع راية القتال على رسول اللّه وتهدم الدعوة الجديدة فى مهدها وقد وصلت أخبارها الى مسامع المسلمين، فدبَّ فيهم الذعر والرهبة، وخاصة فى النفوس الضعيفة، مما اضطر النبى أن يجمع أهل الرأى من أصحابه ليتشاور معهم فى الرأى.كان سلمان أحد اولئك الأشخاص الذين جمعهم الرسول للمشورة والرأى، وطال الحديث فى ذلك، وسلمان ساكت لم يتكلم، فيلتفت اليه النبى قائلاً: – ولماذا لم تتكلم يا سلمان؟– يا رسول اللّه: أفكر فى أمر يمنع الأعداء من الوصول الينا.– وكيف ذلك؟.– يا رسول اللّه: نحفر خندقاً حول المدينة، فلا يستطيع العدو الوصول اليها.– وكم تقدر

المدة التى تستغرق لحفر هذا الخندق؟- لا يزيد على الأسبوع.. ومسير الجيش بهذا العدد الذى نسمعه يحتاج إلى مسير عشرة أيام يقطعها بين مكة والمدينة. هذا إذا لم يصادف تأخر الركب، أو بعض القبائل، فيتأخر مسير الجيش يوماً أو أكثر عن موعده.واستصوب الجميع رأى سلمان.. وأمر النبى بالعمل.. ولم يبق أحد من المسلمين إلا واشترك فى الحفر.وكانت المدينة حينذاك مشبكة بالبنيان والنخيل من سائر جوانبها إلا جانباً واحداً مفتوحاً، وهو الذى حفر فيه الخندق وما ان تم حتى خرج النبى بعسكره، وهو لا يتجاوز الثلاثة آلاف، وتمركز فى سفح جبل المدينة وصار الخندق بينه وبين القوم.وعندما وقف على الخندق أبو سفيان ومعه عدد من أصحابه قال: إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها من قبل، وهى من عمل الفارسى - ويعنى به سلمان -.ثم سكت قليلاً الشيخ أبو معاذ، وقد ندت عنه آهة كادت تمزق هدوء الليل.. وقال: لقد ابتلى محمد باليهود.. وان خطرهم كان أشد عليه من خطر قريش وأتباعها وما كانت القبائل اليهودية تهدأ من نسج المؤامرات واثارة الحروب على المسلمين فالدعوة الإسلامية كانت فى مرحلة خطر من كيد اليهود، ولولا لطف اللّه لكان ما كان.. فلقد كانت القبائل اليهودية - حينذاك - ثلاثة، وقد دخلت مع النبى فى عهد، وهى: بنو قينقاع، وبنو النضير، وقريظة.. وكانت المدينة تضم من المسلمين: المهاجرين، والأنصار، وبها من المشركين من الأوس والخزرج ممن لم يسلم، ومن اليهود بنو قينقاع فى داخلها، وبنو قريظة فى فدك، وبنو النضير على مقربة منها، ويهود خيبر فى شمالها..وظن اليهود أول هجرة الرسول إلى المدينة انهم يستطيعون التحالف مع الإسلام على النصرانية، والتى كانوا يضمرون لها حقداً دفيناً، فلما لم يستطيعوا ذلك جهروا بعدائهم للإسلام ونقضوا عهودهم، وانتهى عندما احتدم الصراع بجلاء يهود بنى النضير عن المدينة فى السنة الرابعة من الهجرة. وكان بنو قينقاع قد نقضوا العهد أيضاً، ولم يبق إلا بنو قريظة. ثم عندما تألبت الأحزاب على رسول اللّه فى السنة الخامسة، وقاد أبو سفيان جيشاً لحرب محمد كان يهتم لاستمالة بنى قريظة له، طالما وأن قبيلتين من اليهود انضمت إلى الجيش المحارب.وفكر أبو سفيان بادئ الأمر بمن يقوم بهذه المهمة، فلم يرَ أليق من يحيى بن أخطب فهو رجل معروف بالدس والدهاء والمكر. وفعلاً توجه الرجل إلى كعب بن أسيد - زعيم بنى قريظة- ولم يعد لأبى سفيان، حتى حمل معه رضاه بنقض العهد.وعرف المسلمون الخبر، فعظم الأمر عليهم، واشتد فيهم الخوف والهلع، وأمعن الغزاة بالحصار على المدينة حتى وصل قرابة الشهر، مما أثر على معنوية قسم من المسلمين ودب الجزع فى نفوس المنافقين، والضعفاء من المسلمين، ويقول أحدهم: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب لحاجته..وآخر يستأذن الرسول بالسماح له ليذهب فيحفظ بيته، إذ يقول: - يا رسول اللّه، إن بيوتنا عورة من العدو، فأذن لنا ان نخرج فنرجع الى دورنا فليس فيها من يحرسها.وعلى هذا اللون بدأ الانجراد النفسى يتحكم فى نفوس البعض مما اضطر النبى ان يراسل قبيلة غطفان - وهى القوة الرئيسية الثانية، العربية، والتى تقابل قريشاً - على اتفاق ومصالحة يتم بينهما فيعطيهم ثلث ثمار المدينة مقابل عودتهم بدون حرب فوافقوا مبدئياً على الأمر، وقبل ان يبرم العهد أرسل النبى الى سيدى الأوس والخزرج: سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة يعرض عليهما فكرة الاتفاق، ويأخذ رأيهما فى ذلك..وأجاب الزعيمان، بما يعبر عن واقع الإنسان المسلم الذى يعيش قضيته فى أحرج ظروفها: يا رسول اللّه، أمراً تحبه فتصنعه، أم شيئاً أمرك اللّه به لا بد لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟.ويقول الرسول: (بل شىء أصنعه لكم.. واللّه ما أصنع ذلك إلا لأننى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحد، وكالبوكم (أى اشتدوا عليكم) من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم الى أمر ما).فقال له سعد بن معاذ: يا رسول اللّه، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك باللّه وعبادة الأوثان، لا نعبد اللّه، ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى (ما يصنع للضيف من الطعام)، او بيعاً. أفحين أكرمنا اللّه بالإسلام، وهدانا له وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا؟! واللّه ما لنا بهذا من حاجة واللّه لا نعطيهم إلا السيف، حتى يحكم اللّه بيننا وبينهم.قال رسول اللّه: فأنتم وذاك..هذان الموقفان المتناقضان لدى أصحاب الرسول كانا يتعاظمان يوماً بعد يوم.. فالذين آمنوا وأخلصوا لدينهم - كما رأينا من حديث شيخى الأوس والخزرج - لم يهمهم إن طال الحصار أو قصر، وكثر عدد المحاربين أو قل، وهم يؤكدون لنبيهم وقوفهم الى جانبه مهما ضاقت السبل وتطورت الأحوال، ولم يمدوا للعدو يداً ذليلة.. أما الذين دخلوا الإسلام كرهاً ومصلحة، أخذوا يتذرعون بشتى الطرق

للهرب من القتـال..مرّت حالـة لا ـ حرب ولا سـلم على الطرفين طويلاً. المـدة تصل قرابـة الشـهر، ولم يكن بينهما غير الحصار والترامى بالنبل والحصى، مما أثار الجزع فى نفوس الطرفين، وخاصة لدى المشركين، فإن أبا سفيان أخذ يخشى هبوب العاصفة، وتفرق القبائل من حوله، فالسأم والضجر بـدا على جيشه.. أمـا المسـلمون، فـإنهم وإن ضاقوا ذرعاً بالحصار لكنهم على مقربـة من عوائلهم وبيوتهم، وهذا ما يساعد على التمنع والصـمود..وصـمم ابو سفيان على التحرك ضد المسلمين، فحرّض عدداً من فرسان قريش، على الاصطدام المباشـر بالمسـلمين، واختار لهـذه الغاية: عمرو بن عبد ود بطل بنى عامر – وهو من مشاهير العرب – وعكرمة بن ابى جهل، وهبيرة بن ابى وهب بطلى بنى مخزوم، وضـرار بن الخطـاب، أخـا بنى محارب، وأمثالهم ممن لهم دوىّ وسـمعة، ودفع هؤلاء ان يمروا على خيام أصـحابهم ليدفعوهم على الاسـتعداد للقتال.. ثم أقبلوا تسرع بهم خيولهم وجالوا حول الخندق، حتى تلمسوا فيه ثغرة فاقتحموا..وكانت هـذه المبادرة قد أرعبت المسـلمين. ووقف عمرو بن عبد ود وحوله جماعته يصرخ فى المسلمين: هل من مبارز؟وقف قبالته عدد من المسـلمين، ولكن الوجوم خيم عليهم فلم يجبه أحد، وقام على يطلب من النبى أن يأذن له فى مبارزته فيمنعه، وكرر عمرو النداء ثلاثاً، وصـار يقول: أين جنتكم التى تزعمون أن من قتـل منكم دخلهـا أفلا ـ يبرز إلى رجـل؟.فأذن النبى إلى على ليخرج له، وما ان برز اليه، وعينه الكريمة مشدودة إلى ابن عمه، وهو يقول: (برز الإيمان كله إلى الشـرك كله).وتقابل البطلان، على بن أبى طالب بكل بساطته، يقف فى وسط الميدان، وعمرو بن عبد ود لم يترك شيئاً من لباس الحرب إلا وارتداه، وبرز كأنه جبل معلم.وبادر بطل المشركين علياً بالسؤال: مَن المبارز؟– فتى عبـد مناف على بن أبى طالب.ويهز الفارس المغوار ويرد بصوته الأجش: ولم يا ابن أخى تقتل نفسك ألم يكن لابن عمك غيرك يخرجه لمبارزتى، فواللّه ما أحب أن تكون طعمه لسيفى.وبكل بطولة وإصـرار يقول على: ولكنى واللّه أحب أن أقتلـك.ويشـتد الغضب بعمرو، ويهم بالانقضـاض على (فتى أبى طـالب) فتصـدى له أبو الحسن قائلا: يا عمرو إنك كنت تقول لا يـدعونى أحد إلى واحدة من ثلاث إلا أخذت واحدة منها.. قال عمرو: أجل. قال على: فإنى أدعوك إلى الإسـلام، قال عمرو: لا أريد هذا، فقال على: أو ترجع إلى بلادك فإن يك محمد صادقاً كنت أسـعد الناس به، وإن يك كاذباً كان الذى تريد، قال عمرو: لا اريد هـذا أيضاً، فما هى الثالثـة؟ قال على: أدعوك الى النزال راجلاً، فأنت فارس وأنا راجل.. فما كان من عمرو إلا أن عقر فرسه، وضـرب وجهه، وأقبل عليه شاهراً سـيفه وتقابلا فى صراع حامى الوطيس..وعلى مقربة من المعركة تقف كتلتان: من جهة جماعة عمرو بن عبد ود، وهم ينتظرون انكشاف الغبار، ولا يشـكون ان النصـر لصاحبهم.. وقبالتهم وقف آخرون، فيهم الخلَّص من أصحاب النبى يتوسطهم سلمان، وأبصارهم شاخصـة الى ميـدان المعركـة، وكلمة الرسول الخالدة ترنُّ فى آذانهم، وتملأ آفاقهم (برز الإيمان كله إلى الشـرك كله)..وانكشـفت المعركـة، وإذا بعلى فوق صـدر عمرو يحز رأسه.. روّع المنظر الطرفين ولم يتمالك عكرمة بن ابى جهل إلا أن ألقى رمحه وهرب خائفاً، وتبعه بقيه أصـحابه. وكان لهذا الموقف الخاسر أثره الكبير فى تضعضع معنويات المهاجمين، وتحطم قوتهم ودب الذعر والخوف مما اضطـر أن يفكر أبو سـفيان – خوفاً من فرار أصحابه – فى المبادرة بالتراجع، أو القتال، فأرسل إلى بنى قريظة يقول لهم: إنـا لسـنا بـدار مقـام، قـد هلك الخف والحافر (الإبل والخيل) فاغـدوا للقتال، حتى نناجز محمـداً ونفرغ ما بيننا وبينه.. ولكن بنى قريظة لم ترغب فى إثارة الحرب، بعد أن تحسـست تضـعضع الجيش المحارب. ولما شعر أبو سفيان بذلك وقف وسط جيشه قائلاً: يا معشـر قريش إنكم واللّه ما أصـبحتم بـدار مقام، لقـد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظـة وبلغنا عنهم الذى نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، لا يطمئن منها قدر، ولا تقوم لنا نار، فارتحلوا فإنى مرتحل.. ثم قام إلى جمله، وهو معقول، فجلس عليه، وضـربه فوثب به على ثلاث، فواللّه مـا أطلق عقـاله إلا وهو قائم.ولم يكـد يبصـر به الجيش الغازى حتى تفكك، وأخـذ كل يركب دابته ويعود، ولا يلتفت لصـاحبه، ولم يمس المسـاء حتى بـدت الصـحراء خاليـة منهم..وعاد رسول اللّه وأصـحابه إلى المدينـة، ويلتفت بعض الصـحابة لسـلمان قائلاً: جزاك اللّه خيراً يا سـلمان، لقـد حفظت المدينـة وجيشـنا بالخنـدق.وتنازع المهاجرون والأنصار، كل يقول سـلمان منا، شخصـية فذة (بحر لا ينزف) كما قال عنه على بن أبى طالب.. لكن الرسول الأعظم ينهى النزاع عن هذا الأمر فيقول: (لا تقولوا سـلمان الفارسـى، بـل سـلمان المحمـدى.. وهو منا أهل البيت).وسام رفيع يناله سـلمان من رسول اللّه، ذلك يقول عنه النبى مرة: (أمرنى ربى

بحب أربعة، وأخبرني أنه سبحانه يحبهم: علي، وأبو ذر، وسلمان والمقداد).ويقول النبي: (لو كان الدين في الثريا لناله سلمان).واستمرت هذه الشخصية الكريمة في ظل رسولها العظيم تستمد من أخلاقه، ما يرفع مجدها، وتعبّ من غيرها بما يبني شخصيتها الإسلامية على أساس متين وصارت لها مكانة في قلب النبي يغبطها عليها الكثير من الصحابة.. تقول عائشة: (كان لسلمان مجلس من رسول اللّه يتفرد به بالليل، حتى كاد يغلبنا على رسول اللّه).لقد دخل عليه قوم، وهو أمير على المدائن، وكان يعمل الخوص، فقيل له: لم تعمل هذا، وأنت أمير يجري عليك رزق يبلغ خمسة آلاف دينار، فتتصدق به، فقال: إني أحب أن آكل من عمل يدي..ثم توقف الشيخ أبو معاذ قليلًا، وكفكف دمعة حزن، واستأنف حديثه قائلًا: رحمك اللّه يا أبا عبد اللّه، فقد قيل له مرة ابن من أنت؟ قال: أنا سلمان ابن الإسلام من بني آدم: كان قوياً في إسلامه، صامداً لعقيدته، مخلصاً لنبيه وآله، وكان واقعياً زهد في الدنيا، يعمل الخوص، ويبيعه فيأكله، ويفترش عباءته لينام، ويباهي بأخلاقه.وفي العقد الرابع من الهجرة يلبي نداء ربه. وخلف بعده ذكراً خالداً ما دام الزمان.

الحباب بن عبدالله بن أبي

وانتشر الظلام في سماء المدينة، وتوافد رواد مجلس الشيخ أبي معاذ الى مجلسهم كالعادة، وهم في شوق لما سيحدثهم في ليلتهم هذه.وفي تلك اللحظات أقبل الرجل، يحييهم بأحسن السلام والبسمة الهادئة، وبعد استراحة قصيرة بدأ حديثه..دعا داعي الاسلام في مكة المكرمة، واستقبل الناس – خصوصاً في الجزيرة العربية – هذه الدعوة بكثير من التعصب فقد شقَّ عليهم أن يدعو صبي يتيم لنظام يطيح بكيان آلهتم وينفي جميع مبررات وجودها، فكان من جراء ذلك أن بقي قسم كبير من هذه الزمرة معلنين الحرب الشعواء على المسلمين يسومونهم سوء العذاب، وينكلون بهم أشد التنكيل بدافع من روح عدائية حاقدة، ولاقى المسلمون المخلصون في إسلامهم كل الأذى من هذه الطغمة القاسية التي صهرتها دوافع الضغينة وقسوة المصير.ولكن رغم هذه الصعوبات فالدعوة أخذت بالازدهار وأخذت الجموع تلتف حولها، تؤمن برسالة الاسلام تلك الرسالة التي جاءت لإنقاذ البشرية، مما اضطر البعض من تلك الشراذم أن يسلموا في ظاهرهم، وهم يكتمون في سرهم غير ما يعلنون.ومن هؤلاء النفر الذين نافقوا في الدين، هو عبد اللّه بن أبيّ بن سلول الانصاري، ذلك الرجل الذي كان سيد الخزرج وكبيرها وشريفها- طبعاً في قاموس الجاهلية – وقد اجتمعت قبيلته على أن يكون زعيمهم ويسندوا اليه أمرهم، ويكون عليهم ملكاً – وذلك قبل بعثة الرسول الأعظم-.وعندما صرح الرسول بالدعوة، والتف الناس حوله، تهدمت آمال عبد اللّه بن أبي، لقد كانت آمال هذا الرجل واسعة، فقد كان يأمل أن ينال ملك (يثرب) بعد أن دانت له قبيلته وأمرته عليها.والخزرج: قبيلة يعتد بها، فاذا ما دانت له، واقتنعت بإمرته فلا بد أن يخضع له مما حولها كرهاً أو رضا.ويشرق نور الاسلام، وتزحف الخزرج الى رسول اللّه، تمد يدها مسلمة لدعوة الحق، ويحسن إسلامها، ويتفرق العدد المرصود من حول هذا الرجل الطامع، فلم يبق له إلا أنفار يستنشق بواسطتهم ريح ملكه المنهار، وسطوته المتداعية على عتبة الاسلام، ويضطر أن يمد يده طائعاً ضامراً الكره الى محمد (صلى الله عليه وآله)، يبايعه على الاسلام، ولكنه يكتم في قلبه أكثر من موجدة على (فتى هاشم) ودعوته، ولا بد أن ينتقم لمجده السليب.وعبد اللّه بن أبي – كما تقدم – شريف الخزرج، وكان معروفاً لدى الجميع، وكانوا يعلمون موقفه من الاسلام، لهذا لا نستغرب إذا رأينا داره تصبح بعد زمان قصير موئلًا للمنافقين، والحاقدين على الاسلام، يجتمعون فيها آناء الليل، وأطراف النهار يتهامسون في أمر الدعوة الجديدة، ووضع الحواجز والأشواك في طريقها.وتجمعت أجهزة السوء يوماً تتداول أمرها وتستعرض الموقف وإذا بابن أبي يطلّ عليها. طلع عبد اللّه بن أبي على جماعته، وهو يأكله الحسد، ويجلجله النفاق، يطوي نفسه على صرخة مكبوتة ولوعة كامنة في أعماقه، ويتحرق ألماً وغيظاً، ويعود الى داره ملتاع الجانب فتستقبله زمرته تخفف منه المأساة.- أهلاً بأبي الحباب، ماذا وراءك؟وُيحتقن وجه الرجل، فتغور نظراته، ويتصبب عرقاً وتعلوه صفرة، ويجاهد كتمان صرخة تحاول ان تنطلق من بين أسنانه فيشد عليها بقوة.وزمرته تلحظ عليه كل هذا، فتتهامس فيما بينها، وتبحث عن السبب، ولكن محاولتهم تذهب

سدى، ويلتفت اليه بعضهم يخاطبه: - ما حلّ بك يا أبا الحباب؟فيمتعض الرجل، ويزداد ضيقاً، ثم يلتفت اليهم، وصفرة وجهه قد مالت الى الكدرة: - لا تدعونى بهذا الإسم بعد هذا، لقد هدم شموخى الحباب وخابت آمالى فيه، فلا أرغب به.وتعلو على الوجه مسحة من تساؤل، لماذا يا ابن أبى؟- لقد صبا الحباب لدين محمد، وخلص له، وأبدل اسمه بعبد اللّه.أتريدون أن أعتز بهذا الولد بعد هذه المصيبة؟وخرست الألسن، وكفوا عن الحديث.وامتد الزمن، والولد يحظى بالعطف عند الرسول، ويزداد كرهاً لأبيه، الذى ما فتأ يحارب رسول اللّه، ويعلن المعصية عليه فى كل مناسبة، وعجز الولد فى محاولاته المتكررة لتوجيه والده إلى طريق الصواب، ولم يترك طريقة توصله إلى مرماه إلا وسلكها، ولكن مع الأسف كانت النتيجة الفراق مما اضطر الابن أن يهجر أباه، ويترك داره.والأب متمادى فى غيه لا يرتدع عن عقد الاجتماعات المشبوهة - فى داره، ضد الإسلام، ولم يرض لنفسه أن يخضع للحقيقة لحظة دون أن يثير المشاكل فى طريق المسلمين.وهاجر رسول اللّه من مكة إلى المدينة، وكان الحباب (عبد اللّه) من جملة الذين لازموا النبى فى هجرته، فقد ثقل عليه موقف أبيه، فتركه ولزم نبيه، وكأنه لم يعرف هذا الأب المنكِر والمتنكر للاسلام مما زاد كره عبد اللّه لولده، وأخذ ينتظر الساعة التى يفرغ فيها حقده.وتبقى فى نفس كل من الأب والولد لوعة، ومرارة على الآخر. لقد عز على الولد الذى.سلم فأحسن إسلامه أن يكون أبوه من أشد الحاقدين على الإسلام، وأن يكون مصدراً للأذى والشغب، وسبباً قوياً فى عذاب النبى. وكانت هذه الأزرار تثير فى نفسه خواطر فتدفعه على الإقدام على قتله وإراحة الاسلام والمسلمين منه، غير أن رسول اللّه - وهو ممثل الانسانية - كان يخفف من برم الحباب إزاء والده، ويطلب منه أن يعامله بالحسنى، وأمر رسول اللّه مطاع ممتثل على كل حال، ويسكت المؤمن على مضض.ويشرق الاسلام، ويبسط جناحيه على المدينة ويضطر الرجل الحاقد ان يمد يداً غير مخلصة لمحمد، فيسلم ظاهراً، ويعود بعدها لزمرته، فيقول لبعض أصحابه: - مادت الأرض بى، وأنا أمد يداً لمحمد فأبايعه مكرهاً.ويرد الرجل عليه: وما يضرك منها، ومصلحتك الشخصية اقتضتها.ويعرف الكل أن ابن أبى مسلم فى لسانه، كافر فى قلبه.. يتربص الفرصة ليوقع بالاسلام وأتباعه ما يروى حقده الجاهلى.حتى كانت وقعة بدر فخرج المسلمون، وتخلف (عبد اللّه بن أبى) عن مساندة جيش المسلمين متمارضاً، لقد كان - كما يقولون - مسلماً فى لسانه، أما فى عمله فهو على الاسلام، ولكن موقف الولد المعتز بالاسلام كان الامثولة الحية، فقد أبلى بلاءً حسناً فى ذلك اليوم، وانتهت بدر، وزادت هذه الوقعة والمسلمون منتصرون، من غلواء (عبد اللّه الأب)، وبقى مستمراً فى غيّه وتعنته ضد الاسلام.وبعد أيام خرج المسلمون لأُحُد، والموقف صارم، والحرب على الأبواب، ولاحظ (ابن أبى) الظرف فرآه مناسباً لأحد الثأر من رسول اللّه، فأخذ يجول على المسلمين يخذلهم، وتمكن بخبثه من إرجاع الكثير من المسلمين القريبى العهد بالاسلام عن نصرة رسول اللّه حتى حددها البعض بالثلث.ولوى الحباب - ذلك الرجل المؤمن - رأسه حياءً من هذه الحادثة أمام رسول اللّه، و شهر سيفه فى وجه الخزرج، وقاتلهم قتالاً شديداً، مما جلب انتباه النبى فرعاه، وأحسن رعايته وإن كانت صورة أبيه، وموقفه المخزى لم تفارق مخيلته أبداً.وأعلن الرسول (صلى الله عليه وآله) سنة ست، أو خمس - على اختلاف فى التاريخ- عزمه على غزو بنى المصطلق، وهم من خزاعة بعد أن وصلت الأخبار، بأنهم عقدوا العزم على قتاله بقيادة الحارث بن ابى ضرار: سيد هذه القبيلة، وكبيرهم.وبادرهم الرسول، وهم يتوجهون اليه، وكان (المريسيع) - وهو موضع فيه ماء - مركزاً لتقابلهم، وقتالهم.ولم تمضِ ليلة على العسكرين، حتى أمر الرسول علياً أن يزحف بالراية عليهم، واشتبك الجيشان، ولم تقع خسائر بالأرواح فيها كثيرة، فقد شعر بنو المصطلق بضعفهم فاستسلموا ونقل رسول اللّه أبناءهم وأموالهم، فأفاءهم عليهم.وكان ابن أبى مع المسلمين الذين خرجوا فى هذه الغزوة خرج لا ليدافع، بل ليغنم شيئاً.ووضعت الحرب أوزارها، وتفرق المسلمون يخففون عن أنفسهم ثياب الحرب وعدّتها، بينما البعض منهم ذهب الى بئر ماء تجمع عليها نفر من المسلمين ليملأوا جرارهم وقرَبهم بما يحتاجون اليه من الماء.وفى هذه الأثناء يحدث بين شخصين من المسلمين نزاع على الماء وكان أحدهم من المهاجرين، والآخر من الأنصار، وإذا ما اشتد النزاع بينهما، نادى كل منهما أصحابه، وكادت تقع الواقعة بين المسلمين.وسمع ابن أبى بهذا النبأ فيضطرب ويولول، ثم يصرخ فى وجوه الجالسين حوله من الخزرج: (أوقد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا فى بلانا، واللّه ما أعدنا وجلابيب [۴] قريش هذه إلا كما قال القائل: (سمن كلبك

يأكلك) أما واللّه لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من حضر مجلسه من قومه فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما واللّه لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم، لتحوَّلوا الى غير بلادكم، لقد قلت لكم لا تنفقوا عليهم، لو تركتموهم ما وجدوا ما يأكلون ويخرجوا أو يهربوا).ثم سكت والحقد يغلى فى صدره كأنه المرجل، وانتشر الخبر حتى بلغ مسمع رسول اللّه فتأثر منه غاية التأثر، وطلب البعض من رسول اللّه أن يسمح بقتله، ولكن الوفاء الاسلامى المتجسد فى رسول اللّه أبى أن يفعل ذلك بل أراد أن يضرب مثلاً أعلى للإنسانية جمعاء فأجابهم: (إنى أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه).واضطر نبى الرحمة وهو بعد لم ينفض يديه من غبار الحرب وفى تلك الظهيرة القاسية، أن يعلن الرحيل، ولم يثنه عن أمره توسل المسلمين بأن يتأخر عن أمره. فإنه (ص) حاول بأن يسير ليطوى هذا الحديث عن اسماع الناس، ويشغلهم عن التحدث به، والحيلولة دون التمهيد للنتائج الوخيمة المرتبة عليه ان انتشر.ولملم المسلمون أمتعتهم امتثالاً لأمر رسول اللّه بالسفر، وتقدم اليه شيخ من المسلمين هو أسيد بن خضير يلتمس من النبى أن يؤخر سفره فى هذه الساعة التى يصعب بها المشى، وشمس الظهيرة تلفح وجوههم.ولكن رسول اللّه التفت اليه وقال: أوَ ما بلغك ما قاله صاحبكم؟- وأى صاحب يا رسول اللّه؟- عبد اللّه بن أُبىّ.- وما قال؟- زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل.- يا رسول اللّه أرفق به. فواللّه: لقد جاء اللّه بك، وأن صحبه لينظمون له الخرز ليتوّجوه، وانه ليرى أنك قد سلبته ملكاً.ولكن رسول اللّه أصرّ على المسير، ليشغل الناس عن حديث ابن أُبىّ، وأمر الرسول المسلمين بالتوجه إلى المدينة عائدين.ويتألم الحباب لهذا النبأ، وكاد يصعق لهول ما سمع، ويهرع إلى الرسول، ودموعه تتقاطر على خديه، ويقف قبالته، والألم يعصره عصراً ويقول: يا رسول اللّه بأبى أنت وأمى، أنت واللّه الاعز وهو الأذل، أما واللّه لقد قدمت المدينة يا رسول اللّه وأهل يثرب ليعلمون: ما بها أحد أبر منى، ولئن كان يرضى اللّه ورسوله أن آتيهما برأسه لأتيتهما به، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله، فلا تدعنى نفسى أن أنظر إلى قاتل أبى فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار.فقال رسول اللّه: بل نرفق به ونحسن صحبته معنا.ولكن عبد اللّه الابن لم يقتنع بهذا، وبقيت كلمة أبيه القاسية تصرخ فى أعماقه، وشق عليه هذا الأمر، ولا بد أن يثأر لنبيه وللّه، فكتم فى نفسه أمراً، وصمم على تنفيذه.وفى صباح مشرق كانت فلول المتخلفين تدخل المدينة، وكان شيخ المنافقين ابن أبىّ معهم، وشاهد الناس الحباب بن عبد اللّه ممتشقاً حسامه يقف على عتبة المدينة، والناس لا تعرف من أمره شيئاً، غير أن مظاهر الغضب كانت تثير فى المشاهدين أن شيئاً يكتمه الحباب، وسوف ينفجر.وأقبل ركب المتخلفين تتقدمهم ناقة شيخ المنافقين، فوصل باب المدينة يحاول أن يلجها.فتقدم الحباب وضرب وجه ناقة أبيه بالسيف، فأثناها عن سيرها، وتعجب الناس من هذا الفعل، وصدوره من الابن البار، وصاح به أبوه، ولكن الولد الذى دفعه اخلاصه لدينه لم يأبه لصراخ أبيه، وإنما وقف أمامه وقد شهر سيفه وقال له: ألست القائل: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل؟أما واللّه لسوف تعرفن العزة لك، أم لرسول اللّه، واللّه لا يأويك سقف إلا بإذن من رسول اللّه.واصفرَّ وجه الأب، وكاد يغشى عليه، ماذا يرى، إن ولده يمنعه من دخول المدينة بدافع من إيمانه وعقيدته، وأدار عينيه فيمن حوله فوجد القوم فى حيرة وذهول، فصاح مشدوهاً: يا للخزرج ابنى يمنعنى من بيتى.وكرر النداء، وصدى النداء يكر راجعاً اليه.فقد شده الناس هول المنظر، فقال الحباب لأبيه: واللّه لا تأويه أبداً إلا بإذن من رسول اللّه.وزحف المشاهدون إلى الحباب يلتمسون منه أن يسمح لأبيه بالدخول، فأبى وقال: واللّه لا يدخله إلا بإذن من اللّه ورسوله.وفشلت جميع المحاولات والتوسلات، فقد أصر الحباب أن يضرب أباه بسيفه لو حاول أن يخطو خطوة واحدة باتجاه المدينة.والأب المنكسر يقف على عتبة البلد، والذل قد كساه خزياً وعاراً، كل شيء كان ينتظره شيخ المنافقين، إلا هذا الموقف لم يحسب له حساباً.وطال به المقام، كما طال بالمشاهدين الوقوف، ولما أعيتهم الحيلة ولم تنفع التوسلات مع الحباب ركض نفر إلى رسول اللّه ونقلوا له موقف الحباب من أبيه – رأس المنافقين – ذلك الذى نزلت فى حقه سورة المنافقين كلها وانزاحت غمامة حزن، كانت قد ألمت بمحيا رسول اللّه، وقال: اذهبوا اليه، فقولوا له: إن رسول اللّه يأمرك بأن تترك أباك ليذهب إلى بيته.وأخبروه بأمر الرسول. فقال بفخر واعتزاز: – أما إذا جاء أمر النبى فنعم..وأرجع حسامه إلى غمده، ورمق أباه بنظرة طويلة فيها كل معانى التحدى والصرامة، وقال له: – لولا أمر رسول اللّه لما تركتك

تدخل بيتك، ولو اجتمعت عليّ الخزرج برمتها، إلا أن يفل صارمى ويسكت نفسى.وغض الأب عينيه على حديث ولده، وأرخى عنان ناقته، وسار مخذول الجانب إلى بيته ليتقى فيه عيون الناس التى لاحقته من باب المدينة حتى بيته، وهى كسهام المنية توغر صدره وتذكره بموقفه المخزى، وبطولة ولده فى الدفاع عن عقيدته ودينه تلك التى سيمجدها التاريخ مهما طال وامتد.واستقبل الرسول الحباب مبتسماً، ثم يلتفت الى أصحابه الملتفين حوله فيقول: (لقد وقف الحباب موقفاً من الاسلام تجلى فيه صدق العقيدة والإيمان. وفق اللّه الحباب، وجزاه عن الاسلام خيراً).

سعد بن الربيع

جزاك اللّه يا سعد، فقد أخلصت لدينك، ووفيت لنبيك.هكذا افتتح حديثه الشيخ أبو معاذ فى ليلته هذه.. وسكت قليلًا، وبدأت أنامله تلعب بلحيته، وكأنه يستعرض ذكريات الماضى بشيء من التفكير.. ثم قال: كان سعد بن الربيع من كبار الخزرج، وزعمائها. وقد سمع – كما سمع غيره – حديث الدعوة، وما يحيطها من أحداث فى مكة، وكان يشعر فى أعماقه برغبة خاصة لسماع أحاديث وأنباء الدعوة. ولكنه لم يجرأ أن يحدث بذلك أحداً.وتشاء المقادير أن يخرج عدد من الخزرج الى موسم الحج وكان رسول اللّه من عادته أن يذهب لزيارة الحجاج والقادمين كلما طرق مكة حاج أو قادم، يعرض عليه الاسلام، ويقرأ له آيات من القرآن، وهكذا كان يبلغ رسالته المقدسة.وعرف النبى أن عدداً من الخزرج وصلوا مكة، فاستقبلهم وأحسن بهم الترحاب، وتحدث لهم ما جلب نفوسهم اليه، ثم أخبرهم عن رسالته ودعوته.. فقال بعضهم لبعض: يا قوم تعلموا واللّه إنه النبى الذى توعدكم به اليهود، فلا تسبقنكم اليه.. فأجابوه إلى ما دعاهم. وأخبروه بأن لهم قوماً كثيراً سوف يخبرونهم بذلك، وعسى أن يستجيبوا له.وعاد الركب الى المدينة، واجتمعوا بقبائلهم وتحدثوا لهم عن دعوة محمد، وأهدافها القويمة، ولم يمرّ وقت طويل حتى كانت غالبية الخزرج قد دخلت الاسلام. كما استجابت لها وجوه من الأوس..وحلّ الموسم الجديد للحج، وقصد مكة (اثنا عشر رجلًا) من الخزرج والأوس، والتقوا بالنبى ب(العقبة) فبايعوه على كل شيء عدا القتال.. وسميت (العقبة الاولى).قال الراوى: (وكنا اثنى عشر رجلًا، فبايعنا رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفترض الحرب، على أن لا نشرك باللّه شيئاً، ولا نسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه فى معروف...).وعادت القافلة الى المدينة، ومعها رسول محمد (مصعب بن عمير) أمره أن يُقرئهم القرآن، ويعلمهم الاسلام، ويفقههم فى الدين.. عادت القافلة، وهى تحمل من مسؤولية العقيدة ما يخفف عنها وحشة الطريق، ويحدوها شوق متناهى على الحفاظ والوفاء لهذه الدعوة الجديدة.وطوى العام أوراقه الخضراء والصفراء، وأجدبت أرض وأمرعت أرض، وقرب الموسم الذى يقصد الناس فيه مكة.. وعاد مصعب الى مسقط رأسه ليجدد عهداً برسول اللّه، وكان معه عدد كبير من المسلمين.. وتم الإتفاق على أن يكون الموعد هو: (العقبة).وفى ليلة مشرقة، وبعد أن مضى منها جذوتها الأولى، وهدأت الأنفاس، وهوّمت العيون تسلل عدد من الأوس والخزرج ممن صحبوا مصعباً إلى مكان التلاقى، واجتمعوا فى الشعب عند العقبة وكان عددهم ثلاثة وسبعين رجلًا وامرأتان هما: نسيبة بنت كعب، أم عمارة، وأسماء بنت عمرو، أم منيع..ولم ينتصف الليل حتى أقبل محمد، ومعه العباس بن عبد المطلب – وهو يومئذ لم يدخل الإسلام –، لكنه أراد أن يستوثق من أمر ابن أخيه، فلما تكامل المجلس، قام العباس خطيباً: يا معشر الخزرج [٥] إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا فهو فى عز من قومه، ومنعة فى بلده، وإنه أبى إلا الإنحياز اليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه فى عز ومنعة من قومه ومن بلده.فقام أحد الزعماء، وقال للعباس: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول اللّه، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت..واستعد رسول اللّه للحديث، وسكت الكل، فكأن على رؤوسهم الطير، وعيونهم تعبُّ من نور النبوة ما يقوى عزيمتهم ويشد إيمانهم.وتكلم رسول اللّه (صلى الله عليه وآله)، وتلا القرآن، ودعا إلى اللّه ورغب فى الإسلام.. ثم قال: أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه عوائلكم وأبنائكم.فأخذ البراء بن

معرور - وهو من كبار الشخصيات - بيده وقال: نعم، والذى بعثك بالحق نبياً لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا [۶] فبايعنا يا رسول اللّه، فنحن واللّه ابناء الحروب، وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر..وتكلم أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول اللّه، إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنا قاطعوها - يعنى اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك اللّه أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟فتبسم رسول اللّه، وقال: (بل الدم بالدم، والهدم بالهدم [۷] أنا منكم وأنتم منى، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم) وانتهت بيعة (العقبة الثانية).ثم قال الرسول: اخرجوا إلى منكم اثنى عشر نقيباً فأخرجوا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس..ثم ان رسول اللّه (ص) قال للنقباء: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومى - يقصد المسلمين - قالوا: نعم..وقبل أن تمد الأيدى للبيعة، وقف أحد الأصحاب، وهو يخاطب اخوانه قائلاً: يا معشر الخزرج، هل تدرون علامَ تبايعون محمداً؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نُهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن اتركوه، فهو واللّه إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه، على نهكة الأموال وقتل الأشراف، فخذوه، فهو واللّه خير الدنيا والآخرة. قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف، فما لنا يا رسول اللّه إن نحن وفينا بذلك؟ قال: الجنة. قالوا: أبسط يدك، فبسط يده فبايعوه..وتسرَّب النبأ لقريش، وحاولت ان تستقصى الحقيقة لكنها فشلت، ولم تتحقق منه إلا بعد فوات الأوان، وعاد الركب الى المدينة.ثم سكت ابو معاذ قليلاً ريثما يستريح، وبعدها عاد للحديث قائلاً: وكان سعد بن الربيع أحد النقباء الاثنى عشر، الذين اختارهم الأنصار ليكونوا فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم.. ولا أنساه وقد خرج مع من خرج لاستقبال رسول اللّه، وقد أطلَّ ركبه الكريم على المدينة كل يود أن يحل محمد ضيفاً عليه يُشرّف بيوتهم. ويقول سعد له: يا رسول اللّه، هلم الينا، الى العدد والمنعة.. ولكن النبى الكريم، يقول له ولأصحابه: خلوا سبيل ناقتى، فانها مأمورة.. وبعد لحظات تقف على باب دار ابى أيوب الانصارى.. وكان سعد أحد اولئك الأشخاص الذين لازموا الرسول، واعتنوا بأمره، واهتموا بدعوته.وقويت شوكة المسلمين، وأعلن الرسول عن عزمه على غزو قافلة المشركين العائدة من الشام بقيادة ابى سفيان.. وعلمت قريش بهذا النبأ، فزحفت بقوتها وعدتها متجهة نحو المدينة.. ولم يقف الجيش الزاحف إلا ببدر، وبين عشية وضحاها دارت الحرب قوية عنيفة بين الحق والباطل، وكان نصيب سعد بن الربيع نصيب الأبطال فى هذه المعركة، وعاد الى المدينة يرفل بالنصر والمجد.ثم كانت أُحد، وهرعت قريش بكل إمكاناتها لعلها تنال ثأرها.. وبلغت الأخبار رسول اللّه، وعرضها على أصحابه ليقطعوا برأى فيها، واحتدم الجدال، وطال النقاش، بين مصرّ على مجابهة الأعداء بالعنف، ومقارعتهم بالسيف، وبين من يختار العافية، ويفضل السلم، إلا إذا غزوا فى عقر بيوتهم..وكان سعد بن الربيع حريصاً على مواجهة الموقف بالحزم والشجاعة، طالما وانهم على الحق، ولا يهم البطل القتال، خاصة وانهم عاهدوا رسول اللّه فى العقبة ان يكونوا سيوفاً مسلولة على أعدائه، لم تغمد إلا فى صدورهم، ولم ترد عن نحورهم..ولاحظ الرسول ان الوقت امتد فى الجدل والنقاش، ولا بد أن يضع حداً لذلك، فقام ودخل داره ولبس لامته، وتعمم بعمامته، وخرج على قومه معلناً «ما ينبغى لنبى إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل». وكان هذا التصميم من النبى انذاراً لأن يضع حداً للقيل والقال، وما ان يشاهد الأصحاب نبيهم على هذا اللون من العزم والتصميم، حتى تراكضوا لبيوتهم استعداداً للرحيل..وزحف محمد (صلى الله عليه وآله) بجيشه الذى ناهز الألف بين راجل وفارس، وقد علمتهم بدر ان النصر لم يكن مقروناً بالكثرة والعدد الوافر، وإنما هو من اللّه يمنحه من يشاء، ولمصلحة ما..وتقابل الطرفان، وقد حمى الوطيس بينهما، ودارت المعركة ضارية، وقد اتسمت بالبطولة والوفاء من جهة، والحقد والعصبية من جهة أخرى.. وتساقط الأبطال من كل فريق، وألحت سيوف المسلمين المغاوير تحصد من حشود الكفار ما شاءت، يلفها ابن أبى طالب، ويفريها أسد اللّه حمزة بن عبد المطلب، ويشتت شملها مصعب بن عمير، ويصول عليها سعد بن الربيع، وكاد النصر يرف على المسلمين، لولا طمع الطامعين وأصحاب النفوس الضعيفة يتركون مؤخرة الجيش، فيوقع فيهم خالد بن الوليد - قائد الجيش المعادى حينذاك - يقول الراوى: واللّه لقد رأيتنى أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل أو كثير. إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه، وخلوا ظهورنا للجبل فأتونا من

خلفنـا، وصـرخ صـارخ: ألاـ أن محمـداً قـد قتـل، فانكفأنـا وانكفـأ علينا القوم، بعـد أن أصـبنا أصـحاب اللواء..كان يوم أَحـد يوم بلاء وتمحيص، أكرم اللّه فيه من أكرم من المسـلمين بالشهادة، وكان أصل البلاء على المسلمين خالد بن الوليد فقد تربص الفرصة لينقضّ على المسـلمين. وفعلًا كان ما أراد وخلص هو وكتيبته إلى النبى، ورمى بالحجارة، فأصـيبت رباعيته وشج عتبة بن وقاص وجهه، وأخذ الـدم يسـيل عليه، وصار يمسـح الـدم، وهو يقول: (كيف يفلـح قوم خضـبوا وجه نبيهم وهو يـدعوهم إلى ربه).والتفّ عـدد من خلص الصـحابة بالنبى فطوقوه من كل جانب ومنهم سـعد بن الربيع، ولم يكن على بن أبى طالب الا ذلك الفارس الـذى ينقضّ على الأعداء بجراءة وبطولـة لم يشاهـد مثلهما فى تلك الحرب، يكشف الحشد عن ابن عمه، ويخفف الضـغط عنه.وخط الظلام، ويأس أبو سـفيان من النصـر، وانه لا سبيل له على قتل محمـد، وما دام على وأمثاله يـدافعون عنه ببسالـة وموت.. وإن الحرب أكلت السواعـد القويـة من أبطـاله.. وإن أصـحابه يفضـلون إنهائهـا، فلاـ أمـل عنــدهم للغلبـة، وكفـاهم مـا أنزلـوه بمحمـد مـن خسـائر.. وقتـل حمزة خسـارة لا تعوض.ووضـعت الحرب أوزارها، وأغمدت السيوف، وغادرأبو سفيان وصحبه أرض المعركة. بعد ان جمعوا فلولهم، وتركوا قتلاهم.. عند ذاك أمر النبى أصـحابه أن يفرغوا لقتلاهم ومداواة المجروحين.ثم التفت عليه الصـلاة والسلام إلى أصحابه قائلًا: (من رجل ينظر لى مـا فعـل سـعد بن الربيع، أفى الأحيـاء هو، أم فى الأـموات)؟.وقـام أصـحاب الرسول بـالبحث بين القتلى والجرحى عن سـعد فوُجد جريحاً، وهو بين الموت والحياة، فوقف عليه أحد المسـلمين وقال له: إن رسول اللّه (صـلى الله عليه و آله) أمرنى أن أنظر، أفى الأحياء أنت أم فى الأـموات؟.وتعثرت الكلمـات على شـفتى الجريـح، وهو يصـارع الموت وبكل جهـد ردّ على صاحبه قائلًا: أنا فى الأموات، وأبلغ رسول اللّه عنى السـلام، وقـل له ان سـعد بن الربيع يقول لك جزاك اللّه عنا خير ما جزى نبياً عن أُمته.. وسـكت الجريـح لحظة ريثمـا يسترد أنفـاسه المتقطعـة، وهو يشـير الى الرجـل أن ينتظر قليلاًـ. ثم تكلم، وخرجت الكلمات هادئـة من فم أثلجه الموت..وأبلغ قومـك عنى السـلام، وقل لهم: إن سـعداً يقول لكم: انه لا عُـذر لكم عنـد اللّه ان خُلص الى نبيكم، ومنكم عين تطرف..وتثاقلت حالة سعد، وجحظت عيناه، وشهق، ومات.وأخبر الأنصارى النبى ما قاله سعد، كما بلَّغ الأنصار مقالته.. ورفع النبى (صلى الله عليه وآله) يديه الى السـماء، وهو يقول: (اللهم ان سـعد بن الربيع فى ضيافتك، وقد جاهد من أجل دينك، فنوّر قبره، واقبل منه فداءه).رحمك اللّه يا سعد وجزاك عن نبيه خير جزاء، فقد ختمت حياتك الشامخة بالتضحية والفداء.

مصعب بن عمير

وأقبـل الليـل، وأقبـل معه عشـاق حـديث الشـيخ أبى معاذ الى مجلسـهم، وشوقهم اليه لا ينقطع.. وكان فى حـديثه الليلـة متفتحاً يصوغ الكلمات جميلة، وينمق أسـلوبه الحلو، بما يجلب به أنظار السامعين.. قال: لفَّ مكة وشـعابها حديث المتسـللين فى آناء الليل، وأطراف النهار الى دار الأرقم يسـتمعون الى حـديث محمـد، وقـد تجمع عنـده عـدد فيهم الكبير والصـغير، وفيهم السـيد والعبـد، وفيهم الـذكر والأـنثى، وكـل يوم آخـذ بالتكـاثر.وفكرت قبائـل العرب فى مكـة بأمر هؤلاء، وخطرهم على آلهتهم، وانعقـدت النـدوات، وازدحمت المجـالس للتـداول بشأن هـذه الـدعوة الجديـدة، وقـد توسع أمرها حتى لم يبـد غريباً على الأسـماع أن يقال: فلان تبع محمـداً، وفلان أصبـح من أعضاء بيت الأرقم، ويلوى القوم جباههم متألمين، يكتمون فى صدورهم زفرة الخسـران، وحسرة الفرقة.وذات يوم يقبل أبو سفيان على البيت، وقد بدا عليه الغضب ونزَّ الحقد من عينيه، فالتفت القوم اليه، وشـىء من الاهتمام قد ظهر عليهم، انهم جميعاً يعرفون أن وراء أبى سـفيان حدثاً جديداً وصاح به عتبة: – ماذا وراءك يا أبا معاوية؟واجتاز أبو سـفيان هذه الحلقة دون أن يلتفت الى السؤال وهو يتعثر فى مشـيته، فلا يكاد يبصـر طريقه من ظلام الحقـد.وأحس شـيبة بخواطر صاحبه، فاسـتقبله وقد افتعل موجة من الحزن، وبدا كأنه يواسـيه فى بليته: يا أبا معاوية، لو تجلس معنا قليلًا نتراشد أمر هذه الجماعة التى انداحت لسـحر محمد.وتكشـفت أسارير الرجل، ورضـى من شـيبة هـذا الاسـتقبال وتوسط القوم وأخـذ يضـحك حتى انقلب على قفاه من الضـحك ولم يسـتغرب الجالسون منه هـذا الحال، فقـد تعودوا ان يروا منه هـذه النوبـة كلما طرأ عليه جديـد، أو ألـح عليه حدث، يدور حول محمد ودعوته.وأفاق قليلًا قليلًا من

حالته، فالتفت الى الجالسين قائلاً: أتعلمون ما حدث اليوم؟ لقد أخبرنى عثمان بن طلحة، بأن فتيعبد الدار (مصعب بن عمير) قد صبا لدين محمد منذ مدة قصيرة وصار يتردد على دار الأرقم كلما جن عليه الليل، ينفث فيه يتيم بنى هاشم سحره.وتعلو الدهشة الجميع، ويصرخ ابو جهل: وحتى هذا الفتى الوسيم الذى يقطر رقة ودلالاً ينحاز الى محمد، ويصبح فى عداد أصحابه؟ يا لخسران آلهة قريش.. لا واللات والعزى، لا بد ان نضع لهذه المهزلة حداً.. وتفرق الجمع، وفى تفكير كل واحد منهم مخطط يضعه للوقيعة بمحمد ودعوته.كانت مكة تعرف مصعب بن عمير شاباً وسيماً، عليه من هيبة الجمال ما يحببه عند أهل مكة.. يرتدى أغلى الثياب ويتعطر بأحسن العطور، وكانت تشخص اليه العيون كلما مر فى شعاب البلد وطرقاتها. تعب من جماله ما تمتلئ به عيون الناظرين، وتستنشق من عبيره ما يبهر الانوف، وكان أكثر من هذا وذاك.وانتشر حديث مصعب وإسلامه كالبرق بين الناس، وكلهم يتساءل: ما الذى حدا بمصعب ان يصبو الى دين محمد الجديد؟وهرع الجميع الى بيت عمير يشكون اليه أمر ولده، وفى الطريق يهمس ابو جهل فى أذن عتبة: ما رأيك لو قتلنا مصعباً وأرحنا آلهتنا منه؟.. لقد صبا الرقيق والمستضعفون فسكتنا وقلنا ليس لهم أثر فى كياننا، أما الآن فقد انجر الأمر الى بطون العرب، وهذا ما كنا نخشاه، فما ترى لو قتلناه واسترحنا منه؟فردَّ عليه عتبة وهو يحملق فى وجهه: لا سبيل لك على قتله، إن لمصعب محبة فى قلوب الناس، فلا يتركوه وحيداً فى الميدان.. مضافاً ان لعمير مكانة بين أهله وصحبه، وليس من السهل عليهم ان يتركوك سالماً بعد ان يقتل فتاهم.وزمَّ ابو جهل شفتيه، وكأنه قنع بما قاله عتبة، فهو على صواب. إن لمصعب محبة فى قلوب الناس. وهما بهذا الحديث إذ أشرفا على حى عمير بن هاشم بن عبد مناف سيد قومه، وكبير سراته، فاستقبلهم هاشاً مرحباً.ولكن أبا جهل لم يطق السكوت ريثما يهدأ الجميع، بل انتفض فى وجه عمير، وقد شهر حسامه، والشرر يتطاير من عينيه، وصاح: أعلمت يا أبا زرارة ما كان من أمر ولدك مصعب إنه صبا إلى دين محمد، وخرج على آلهتنا، فإذا لم تردعه عن غيه فإن سيوف قريش أولى بتأديبه من غيرنا.ولوَّح بسيفه أمام عمير ثم كر راجعاً.وطافت على وجوه القوم سحابة من تأثر واشمئزاز من تسرع أبى جهل وتهوره، فلم تكن إهانة عمير بالأمر الهين. فاستشاط غاضباً، وحاول أن يرد عليه بالمثل، ولكن عميراً سمح لأبى جهل إهانته لأنه فى بيته، غير أن هذا لم يخفف من غضبه.وبكل رفق ولين التفت اليه أبو سفيان وقال: رفقاً بابن عمك يا أبا مصعب إن أبا الحكم لم يقصد بك، ولا بولدك سوءاً إنما هى شنشنة هدرت، وحرقة طغت، فاغفر له زلته.وتفرق القوم إلى مضاربهم، وهم يأخذون على أبى جهل موقفه من عمير.ويعود عمير إلى الدار ليحدث زوجته عن أمر ولده.ومع أفول الشمس ينسل الشاب الوسيم من جماعته ليأخذ طريقه تحت جنح الظلام إلى دار الأرقم، ليجتمع بمحمد ويعب من حديثه أنداه وأعذبه.ويلتفت الفتى يمنة ويسرة، ودقات قلبه تتعالى كلما اقترب من دار الأرقم، وتغوص فى أعماقه أفكار وأفكار، وتجتاح ذهنه أكثر من خاطرة، فيدور معها، وكأنما مشدود بها شداً وثيقاً لا يمكن أن يتحرر منها، ومهما حاول أن يقطع سلسلة خواطره، فإن محاولاته تبوء بالفشل.وعلى عتبة دار الأرقم تجسمت خواطر مصعب، وتصارعت أمامه صور وذكريات، كل منها تأخذ لنفسها إطاراً صاخباً.طارق جديد على أفكاره يلح عليه بالولوج، وقد أخذ بمجامع قلبه، يدفعه دفعاً حيث يريد.. صوت محمد يرن فى أُذنيه، كالنغم الهادى يداعب عقله وحسه، فيعيش فى عذوبته طويلاً طويلاً ووجوه مشرقة بالإيمان تنفث إلى أعماقه روحيتها، كخفة الهواء وانسياب العطر.ثم صورة مكة وسكانها، وصورة أبيه وأُمه، وقومه وموقفهم منه لو عرفوا أمره ماذا يكون مصيره معهم، ويخطر فى نفسه خاطر يلتاع له، ويهتز جسمه هزاً خفيفاً. ذلك منظر أبى جهل وحربته يطارد أصحاب محمد يذيقهم ألواناً من عذابه، ويسيمهم أنواع البلاء.. يتصور كل هذا، ويفكر بعواقب كل هذا. وتوشوش له بعض الخواطر بالعودة من حيث أتى ليسهر، ويمرح مع فتيان الحى، اولئك الذين خلفهم فى رحبة بيته.ولكن صدى الإيمان من أعماقه يتعالى، ويدفعه دفعاً رقيقاً الى دنياه الجديدة، وليذيقه أبو جهل وزمرته ما شاؤوا من عذاب وليصنع أبوه به ما يحب، فإن إيمانه ماض به الى حيث دار الأرقم، الى نداء الضمير، الى موعد محمد.ويلج الدار، ويستقبله الصفوة من الأصحاب مبتسمين يشرق عليهم إيمان الدعوة وتصهرهم عواطف العقيدة، وينساب اليهم الصوت الرزين، يتلو عليهم من آيات اللّه ما شغف بها قلبه وتغور الى أعماقه قوة تلك الكلمات، فتتهلل أساريره إشراقاً وابتهاجاً، وهكذا كان نصيب مصعب من دعوة محمد فى بدء تكوينها.وفى مساء ليل داكن يعود فتى

عمير الى بيته يقطر رقة وعذوبة – كعادته – من مجلسه، وفى عتمة الظلام يلمح ظلاً خفيفاً على باب بيته يقترب منه رويداً كلما اقترب الى داره.وعن مقربة من بيته، سمع صوت أمه الحنون يزحف اليه بشىء من الحنان والحزن. وهى التى كانت شديدة الولوع به، كما كان والده شديد المحبة اليه، حتى لا يمكنهما مفارقته. ويجمد الدم فى عروق مصعب، ما الذى حدا بأمه أن تقف منه هذا الموقف، والليل قد نزع عنه ظله الكبير، ولم يبق منه إلا طرف خفى؟.ويا لهول ما سمع منها أن أباه على وشك الانفجار من الغضب فقد عرف بكل شىء، واكتشف ما كان يخفيه عنه، وقد أصبح عالة على والده، ومصدراً لأقاويل المتشمتين، كأبى جهل وأبى سفيان وأضرابهما.ودارت فى رأسه أفكار وخواطر هل سيصارح أباه بالحقيقة أو يكذب عليه، هل يعطيه المواثيق بعدم العودة لدار الأرقم أم يصرّ على المضى بأمره، وهكذا دارت فى رأسه هذه الأفكار والخواطر وهو يجتاز عتبة الدار، وحاولت أمه أن تثنيه عن الدخول فى هذه الساعة الهوجاء التى فيها أبوه كالبركان من شدة الغضب.ولكن إيمان الفتى بدعوة محمد دفعه إلى مصارحة والده بالواقع الذى يتبناه.. انه لن يسمح لنفسه بالتراجع، والعودة الى الوراء، فالصراحة هو الحل الوحيد، وليتحمل مواجهة الحقيقة بجنان ثابت ومهما كلف الأمر.واصطدم بأبيه فلمح موجة من الغضب تطفو على ملامح هذا الشيخ، وارتسمت على قسماته صورة مشوهة للرجل الذى ضاق بدنياه، واسودت أيامه.ووقف بين يديه، وقد أشاح بنظراته عنه، وحاول عمير أن يتكلم فخانه التعبير، ثم نطق، وفى طيات حديثه شىء ينم عن حزن دفين، ولم يطل التساؤل والاستفسار بينهما، بل انقض عليه أبوه، وأوثقه كتافاً، وصاح بأهله المجتمعين حوله ان يحملوا مصعباً الى البيت الذى أفرده له ليسجن فيه، حتى يعود الى صوابه.وتمر الأيام، والفتى الوسيم رهين السجن قد طال شعره وذبل ضوءه، وبهت شروقه ويتركه جميع متعلقيه، فلم يتردد عليه سوى والدته، وهى تكاد تموت شفقة على ولدها الذى سرق نوره ثقل السجن وامتص جماله كابوس الهم، وكلما حاولت ان تثنيه عن عزيمته للدعوة الجديدة لينعم بالحياة السعيدة التى يفرشها له أبوه، كان يزداد صلابة وإيماناً بعقيدته.وهكذا ديدن أصحاب محمد بين تعذيب وتشريد، وسجن وتبعيد، مما اضطر الرسول الأعظم أن يدعو أصحابه الى الهجرة هرباً من أذى قريش الى مكان بعيد عن عيون الحاقدين ويختار لهم الحبشة.وتزحف الصفوة الطيبة الى تلك الديار النائية لتتقى بهذا السفر المضنى مشقة الأذى، والعذاب من هؤلاء القساة.ويترامى النبأ الى أسماع مصعب، وهو فى سجنه الانفرادى ويفكر فى اللحاق بهم، وطال به التفكير. وفى زحمة الخواطر المرة تدخل أمه عليه، وترثى لحاله، ويؤلمها ان ترى حبيب قلبها وهو رهين آلامه.ويفيق على آهات امه وزفراتها التى نفرت منها دون إرادة وقصد، ويلتفت اليها، وقد طبع على ثغره ابتسامة هادئة وقسماته تنمُّ عن توسل عميق: – يا أماه، هل لك ان تسدين لولدك خدمة فأنا بحاجة اليها؟وتهش الأم المنكوبة لطلب ولدها – وإن كانت لا تعرف بعد ماهيته –.– يا أماه اريد ان تساعدينى على الهروب لألتحق بركب محمد الى الحبشة.وترتسم على وجه الأم كآبة وحزن. إن سجنه بهذه الحالة أهون عليها ان يبعد عنها الى أرض النجاشى.ولكن مصعباً لم يهدأ من تكرار الطلب عليها. ويوضح لها بأن فى هذا العمل سلامته. وأخيراً تخضع الأم لطلب عزيزها وتساعده على الهرب، والتخلص من سجن أبيه، ويلحق بقومه وتضم الصفوة الطاهرة أرض النجاشى عهداً ليس بالطويل.وتشرق شمس، وتغرب شمس، ونور الاسلام يمتد مع الأيام حتى يقوى ويشتد، وتنهار أمامه حشرجات الظلام.. وعلى ضوء الصباح تعود القافلة المسلمة، توشح طريق الإيمان بالأمل.ويعود مصعب مع من يعود، وهو فى عودته أقوى جناناً من قبل، لا يهاب سطوة قريش، ولا سخط أبيه.وعلى قارعة الطريق تقف أُم مصعب مع الواقفات يشاهدن موكب المسلمين، وهم يعودون سالمين إلى أوطانهم.. وتحاول الأم الشفيقة أن تتشبث بولدها، ولكن المسلم الجرىء يدفع أُمه برفق، ثم يرمقها بنظرات عاطفية، ويتفوه والدمعات تنتثر على وجناته، وهو يخاطب أُمه: يعز علىّ واللّه أن أمتنع من استقبال أبى وأمى، فليس لمسلم أن يطرق باب المشركين، ولو كانت دار أبيه وأمه.وتكتم الأم زفرة بين طيات صدرها وتنثنى عائدة إلى الدار فتلمح عميراً، وهو على عتبة الباب وقد تسمرت عيناه إلى وضح الطريق، ودمعة تترقرق فى مآقيه.وبين صدى النشيج المنساب، تقول الأم المحزونة: يا أبا زرارة: إن مصعباً عاد مع القافلة، ومسحة من إشراق تظلله. وهالة من إيمان تحيطه.فيقاطعها عمير، والثورة تؤز فى كيانه: اسكتى، وكأنك ملت إلى هذا الدين الجديد، أخشى أن يسمعك أحد فيصيبنا بسوء..وتلملم الوالدة الحزينة دمعة نافرة فى مآقيها ثم تنثرها

مـدراراً.ولاـ يمسى المساء حتى يزهـد مصعب بأمره، ويترك مظاهر الرقـة والـدلال، ويبعـد عن عينيه مظاهر النعيم والترف، فالإسـلام يحـارب هـذه المظـاهر الزائفـة، ولاـ بـد من أن يواسـى اخوانه الفقراء.ويرمقه الرسول الأـعظم، وقـد نزع عنه ابراد الحياة الناعمـة فيتأثر لذلك، ويدعو له بالخير.كان مصعب لا يلبس إلا أرق حلة، ولا يتطيب إلا بأحسن طيب، ويمر الزمن وإذا به يرتدى فروة قد رفعها عن كـاهله قليلاًـ لخشونتها، فيبكى محمـد رقـة عليه.وفى ضـحوة النهار طلق مصـعب دنياه الجمليـة الضاحكـة وأخلص لـدينه، وكان بهـذه الصـفات العاليـة نال المكانـة المرموقة عند النبى (صـلى الله عليه وآله).ويقصد النبى مكة فى موسم الحج ليبلغ رسالته، ويقدم عليه وفد المدينة من الخزرج والأوس – وهم يشهـدون بالتوحيد ورسالته – ويطلبون منه أن يرسل معهم معلماً وموجهاً.. ويرى الرسول أن مصعباً خير من يقوم بهـذه المهمة، فيقول له: – يا مصـعب: أترغب فى خدمة تؤديها للمسـلمين؟.– لبيك يا رسول اللّه.– إرحل الى المدينة – وكـان ذلـك قبـل الهجرة بقليل – وعلم المسـلمين القرآن، وفقههم فى الـدين.– سـمعاً وطاعـة يا رسول اللّه.ويرحل مصـعب مع الوفد المـدنى، ليؤدى رسالته المقدسـة ويبلغ ويرشد.. ويتخذ من دار أبى أمامة، أسـعد بن زرارة مركزاً له.. وتجمع حوله عدد من الذين نوَّر اللّه قلوبهم بالإيمان يعلمهم القرآن، ويفقههم فى الـدين حتى صار معروفاً فى المدينـة ب(المقرئ).وذات ليلـة قمراء يحـدث أبو أمامة ضيفه مصـعباً، فيقول له: لو ترى أن نخرج غداً لسـعد بن معاذ، وأسـيد بن حضير وهما سيدا الأوس، وتعرض عليهما الاسلام، فعسى أن يسـتجيبا للدعوة وفى ذلك إيمان الأوس.وفى الصباح قصد الرجلان زعيمى الأوس، ولم يبلغا مضارب الأوس، حتى بلغ خبرهما سماع سعد وأسـيد، فضاقا بهما ذرعاً والتفت سـعد الى أسـيد طالباً منه أن يذهب الى الرجلين، ويطلب منهما أن يعودا من حيث أتيا، فهما لم يقصدا هذه الديار إلا ليسفها ضعفاءنا، ويضعضعا شبابنا، ما لنا ولهم، ولولا أن سعد بن زرارة منى حيث قد علمت، كفيتك ذلك، فهو ابن خالتى ومصـعب صاحب محمد ضـيفه، ولا أرغب أن أكون قاسياً معه.وتوجه أسيد اليهما، وما أن وقعت عين أسعد عليه، حتى قال لمصـعب: هذا سـيد قومه قد أقبل عليك، فاصدق اللّه فيه.قال مصعب: أرجو أن أوفق فى ذلك.ووقف أسيد عليهما، وهو شاهر حربته، وقـال لهمـا: مـا جـاء بكمـا الينا، نحن لا نرغب فى قولكما.وبكل هـدوء قال له مصـعب: لو تجلس فتسـمع، فإن رضـيت أمراً قبلته، وإن كرهته ذهبنا عنك.قال: أنصـفت.. ثم ركز حربته، وجلس معهما، فكلمه مصـعب بالاسـلام، وقرأ عليه القرآن.يسـمع أسيد هذا الكلام، ويأخـذ لبه، ويسـيطر على مشاعره.. وتمر به ساعـة، وهو لا يعرف عن نفسه شـيئاً، لقد انصـهر بالحديث، وأعجب بالآيات الكريمة، ولم يلتفت إلاـ وهو يميـل إلى مصـعب قائلًا: وكيف أدخل فى الاسـلام.. ما أحسن هـذا الكلام وأجمله، وما أعظم هـذه المثل التى يتبناها دينكم.. أشـهد أن لا إله إلا اللّه، وأن محمداً رسوله وعبده..ووثب دفعة وعاد راجعاً الى صاحبه سـعد بن معاذ.. ويدخل عليه، وهو بين قومه فى مجلسهم فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلًا، قال: أحلف باللّه لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم..فلما وصل أسـيد الى المجلس، قـال له سـعد: مـا فعلت؟ قـال: كلمت الرجلين، فواللّه ما رأيت بهما بأساً، وقـد نهيتهما، فقال: نفعل ما أحببت، وقد حُـدثت أن لهما معك حاجـة، فلو أجبتهما.. فقام سـعد لهما، ولما أقبل قال أبو أمامـة لمصـعب: جاءك واللّه سـيد من وراءه قومه، إن تبعك لم يتخلف عنك منهم اثنان.وما أن وقف عليهما حتى بادرهما بقوله: وماذا تريـدان منى.. فقال له مصـعب: اجلس واسـمع، فإن رغبت بما قلنا وإلا تركناك.. فجلس معهما. فتحدث له مصعب عن الاسلام وقرأ عليه القرآن.. وهما فى هذه يقول أسعد: عرفت واللّه فى وجهه الاسـلام قبل أن يتكلم.. ولم ينته مصـعب من حـديثه حتى نوَّر اللّه قلب سـعد بن معاذ، وأسـلم.وعاد الى قومه، ووقف بينهم، وهو يقول: كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا، وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا باللّه وبرسوله..ولم يمسِ المساء على أحياء الأوس إلا وأسلموا، ولم تتخلف منهم إلا بيوت بقيت ولم تشمل بالهداية..وعاد مصعب مع مضـيفه أسعد الى مقامهما، وهما سعيدان فى هذه الخطوة.ومرة اخرى يخاطب الرسول مصعباً: كيف تكون لو وقع أحد من أهل بيتك أسـيراً فى يديك، فهل تأخذك الرقة والعاطفة؟– يا رسول اللّه لا تأخذنى فى سبيل اللّه رقة وعاطفة، حتى ولو كان أبى أو أخى.ويعلن النبى النفير العـام بين المسـلمين اسـتعداداً لغزوة (بـدر) وتزحف جيوش المسـلمين لتقابـل جيشـاً سـدَّ الخـافقين، ومصـعب يحمـل لواء المسـلمين.ويلتحم الجيشان، ولم تنحسر المعركـة إلا وزرارة بن عمير أسـير بيد أخيه مصـعب، والرجل كان يحمل لواء المشـركين فى

بدر.ونادی منادی المشرکین أن زرارة أسیر لدی المسلمین.وتهرع الجموع الی مصعب لتطلب منه صاحب لواء المشرکین: إنه أخوک یـا مصـعب فارفق به، ولا تعامله بالقسوة. کرامـة لأمک اطلق سـراح اخیک، ولکن هیهات فلم یسـمع الحشـد من مصـعب إلا السـخریة والاسـتهزاء.. ولما لم ترَ أمه تزعزعاً عن موقفه تضـطر هی لتفتدی زرارة بأربعة آلاف درهم فیضـیفها لخزانة المسـلمین.ویسمع الرسول بهـذا الأمر فیطبع علی جبین مصـعب قبلـة الرضا، ویـدعو اللّه له بالموفقیـة.وانطوت أحادیث بدر، وتحدث الناس عن غزوة (أُحد) وقد أصدر الرسول أمره بالتأهب لها، ویسـتعد المسـلمون للزحف، وفی صـباح الیوم المشهود انتظر القوم موقف النبی لمن یسلّم رایته، ولم یطل التفکیر بهم فقـد أعطی لواء المسـلمین الی مصـعب.وفی ساحـة المیـدان، وقبل أن تنجلی المعرکـة یخرّ مصـعب صـریعاً فی رهج الحرب، ویحمله الرسول الأـعظم الی حیث ترک أصـفیائه، یودعه بدمعـة حارة، فیها الکثیر من الحزن، وفیها الکثیر من الألم.وفی غنوة الضـحی یسـکن أریج العطر، وتخمد أضواء الفتوة فی ساحة الحرب قضـی مصـعب شبابه، ومسحة من جمال لم تغادر وجهه المشرق.. ورحـل ولاـ یملـک من دنیـاه إلاـ ثوبـاً، فکان إذا غطوا رأسه خـرجت رجلاه، وإذا غطوا رجلیه، برز رأسه فقال رسول الله: «اجعلوا علی رجلیه شیئاً من الاذفر»، وانتهت صفحة هذا الصحابی عن عمر ناهز الأربعین.

الخباب بن الأرت

ودارت الأیام، وأعقبتها أیام، وفی خلالها أحداث تطل وأحداث تطوی، ولکن مدینة الرسول لا تنسـی موقفین، لهما فی أضلاعها أکثر من صـرقة وعلی عینیها من أجلهما سیل من دموع تلک هما: واقعة المدینة وما رافقها من مآسی یجزع القلم من وصفها ومأساة کربلاء التی أکلت الأفکار حزناً، وأدمت القلوب تأثراً.وکان الشـیخ أبو معاذ یتجنب إعادة هذین الموضوعین علی أصحابه، ومستمعیه ویحاول أن یکرِّس أحادیثه عن ذکریات الماضـین فی عهد الرسالة الأولی.. ومهما یکن فإن السلسلة واحدة رغم تبدل أصحابها..فأبو سفیان هو الـذی أججـ النار، وأشـعل الحرب، وأثارها معرکـة ضاریة علی النبی محمد، وإذا دفنه الموت، ولم یکمل مخططه فإن معاویة بعده هو البطل الأول لتنفیـذ ما رسـمه أبوه من مخطط فظیع لهدم الإسـلام، وتشتیت المسـلمین، وکان أکثر من أبیه قوة ونفوذاً.. وإذا کانت ذرة ضرورة اقتضت – وإن کنت لا أحسب – ومنعت أبا سـفیان صـخر بن حرب من التوغل وراء اللاإنسانیة، وازدراء الدین، فأسلم متظاهراً وإن کـان فی قلبه یضـمر خلاـف ذلـک، فهو یقول فی موقف حـاسم بین الحق والباطـل تلاقفوهـا یا بنی أمیـة تلاقف الکرة، فوالـذی یحلف به أبو سـفیان ما من جنـة ولا من نار، إنما هی الـدنیا نتکالب علیها..إذا کان هـذا هو موقف الأب، ففی الولـد هـذا وزیادة، فإن معاویة جاء باسم الإسـلام لیقتص من الإسـلام والمسـلمین، ثارات بدر وحنین – کما یقول المثل –، وهو یصـرح دون خشیة، وإن کان فی مرکز الخلافة – یا قوم: ما حاربتکم لتصوموا، ولا لتصلوا، ولا لتحجوا، ولا لتزکوا، وإنما حاربتکم لأتأمر علیکم.. وفعلاً نفَّذ ما أراد، ومـا أملاه علیه حقـده الجاهلی.. ثم کان من بعـده الحفیـد یزیـد، وهو مثال الباطل والسوء، فیضـرب الـدین عرض الحائط، وهو یصور تماماً الحقیقة عن واقعیة هذا البیت نحو الدعوة الإسلامیة، وموقفه العدائی من دعائم هذه الدعوة، إذ یقول: لعبت هاشم بالملک فلا

بلال بن رباح الحبشی

ونشـر اللیـل أبراده، وانعقـد مجلس الشـیخ أبی معـاذ، وافتتـح حـدیثه قائلاًـ: ولنـا مع بلاـل فی هـذه الأمسـیة، مـا نقطع به وحشـة اللیل، ووجومه.فلقد انتشـر النبأ فی أطراف مکة أن بلال بن رباح الحبشـی مولی أمیة بن خلف قد أسـلم، وعلم مولاه بهذا الخبر، وعظم علیه، وفکر فی أمره، وکیف یؤدبه؟ ولقـد ثقـل علیه أن تلوک العرب بیته، وترمیه بتحـدی آلهتها.وفی حمـة الغضب أرسل علی بلال. ومثل بلال بین یـدیه.ماذا یریـد منی مولای؟لقـد هالنی ما یتحـدث به العرب فی مکـة من أن بلالاً صـبا لـدین یتیم قریش أهذا حقاً؟.ووجم بلال، وطافت علی سـحنته سـحابة حزن ماذا یقول؟أینکر الحقیقة، أم یجابه مولاه بالصـراحة، وعسـی اللّه أن یفتح علیه بالفرج.فصـمت بلال دقائق معدودات، وکان سـکوته بمثابة جواب صـریح لأمیة، إنه – جواب العقیدة – واضح فی معالمه وقسماته لقد ارتسم الجواب

على وجهه جلياً.واستشاط أمية غضباً فصرخ بوجه بلال أتسكت وفى عينيك الجواب الصريح؟وشهر السيف فى وجهه يلوح له بالقتل، والشر يتطاير من كل جارحة فيه.ونطق بلال، وفى نطقه رنة إيمان، وصدق عزيمة وتجمل بالصبر.يا أمية لا ترهقن نفسك آمنت برب محمد، وانخرطت فى دعوته وأنا متحمل كل ما يترتب على ذلك.وكان هذا الجواب بمثابة قنبلة فجرها بلال فى كيان مولاه فما أن سمع منه هذه الصراحة المتناهية حتى أخذ يزبد ويرعد ويصرخ ويتوعد، ثم نهض وهجم على عبده ومسكه من شعر رأسه وجلد به الأرض، وهو يجره جراً.- لا بد يا بلال أن ترجع عن دعوة الاسلام، يا للعار والشنار.وبلال يقابل هذا العقاب، وقلبه كزبر الحديد، لا يهاب قسوة الوحش، ولا يلين لبطشه، ولا ينهار أمام وعيده.وبكل هدوء يخاطبه الانسان العبد المضرج بدمه: - يا أمية لا ترهق نفسك وأنت شيخ كبير، إن كل هذا أتحمله منك ولا أعود عما أنا قادم عليه إن دين اللّه هو الحق وان اللّه وحده لا شريك له وهو للظالمين بالمرصاد.ويغشى على بلال من شدة التعذيب، فيتركه مولاه جثة تشخب الدماء منها، ونفَسه يكاد يجمد على منخريه فلا يتحرك أى جزء منه إلا نبضات قلب بطيئة الدق سريعة الإيمان.وفى مجلس من مجالس قريش، وقد ضم الكثير من سراة القوم، يقبل على أمية بن خلف، شيخ قد هدمته السنون ليعانقه ويطبع على جبينه قبلة، ثم يلتفت إلى الجالسين وكأنه شعر بأن الجمع قد أكبر منه هذا الفعل.يا قوم: إن أمية قد انتصر لآلهتنا اليوم، وردَّ كيد محمد وسحره.وطافت على وجوه الجالسين علائم الدهشة والاستغراب وتعالت الأسئلة من كل جانب عن موقف هذا الرجل الذى انتصر للات، والعزى.فسرد عليهم أمية بطولته مع بلال، وكيف تركه جثة أثقلتها الجراح، ويصعب عليه الحراك.وشق على بعضهم أن يموت بلال، وهو لم يرَ من التعذيب إلا أقله، إن هذه الصفوة التى صبَت لدين محمد تشكل خطراً كلياً على هذه الجموع، وكان المشركون يتفننون فى تعذيب هؤلاء المستضعفين ويصبُّون عليهم أقسى التنكيل، ومختلف العذاب. ولكن الأمر صار على العكس، فإن هذه المظاهر العدائية الحاقدة من المشركين كانت تبعث المسلمين الأولين إلى التفانى فى مبدئهم وتحمل أنواع التعذيب دون التراجع عن عقيدتهم.فالإيمان بالمبدأ إذا ما تركز فى نفس الانسان تحمل فى سبيله أى شىء، فلا يخيفه التعذيب، ولا يرهبه التنكيل، إنما العكس كل العكس فى ذلك، فقد يزداد المرء صلابة، وثباتاً، ورسوخاً فى عقيدته أمام كل هذه المظاهر العذابية.وهذا ما نراه جلياً فى أبطالنا الاسلاميين، أمثال بلال، فقد كان إيمانهم يزداد، وتفانيهم يتوقد كلما تحالفت قوى المشركين على تعذيبهم وإرهابهم، وكلما ساموهم أنواع الألم والأذى.والتفت أحد الجالسين الى أمية بن خلف، مخاطباً: لو نرسل أحداً الى بلال فيستقصى لنا خبره هل مات، أم لا زال على قيد الحياة؟وذهب الرسول بحمل آمال القوم فى مصير بلال او خيبتهم ويرى الرسول بلالاً ـ بعد حياً، فيسرع يزف البشرى الى أسياده وينفحهم بالخبر كأنه كل آمالهم، ويحفزهم عليه بكل ما يستطيع من لباقة.لقد رأيته وهو مقوس الظهر فى جذوة الشمس، وشفتاه تتمتمان بشىء لم أفهمه، وتقربت منه، وأدنيت أذنى اليه، وعيناه لا تبصران من حوله فقد تجمد عليهما الدم. وسمعته يقول ويا لهول ما سمعت!!..وتصاعدت الوجوه اليه، وحملقت العيون فيه، وامتدت الألسن كأنها تلوكه، ووجم عنترة من هذا المنظر، وماتت الكلمات فى فمه.وصاح به سيده وهو يكاد يتقطع من الغيظ: ماذا بك يا عنترة ولماذا لا تتكلم؟وانطلق لسانه بعد صمت: لقد سمعته ويا لهول ما سمعت.سمعته يرتل: يا اللّه يا رب محمد، يا رب الأرضين والسموات، وحدك وحدك لا ـ شريك لك، ساعد محمداً على دعوته، وانجه من عذاب الظالمين، وقوِّنا على تحمُّل غضب أعدائك.. وما أن سمع عنترة ذلك حتى انعقد لسانه، وامتد الذهول الى الجالسين، ومرّت بهم لحظات كأنها السنين العجاف فى ثقلها.وأخرج أمية القوم من ذهولهم قائلاً: - يا إخوان ما رأيكم فى هذا الحبشى أأقتله وأستريح؟؟- لا يا أمية لا تتعجل بقتله. إن فى تأديبه لفائدة. تفنن فى تعذيبه.- دونكم الرجل فاعملوا به ما تشاؤون.- لا نريد ان نتدخل بين العبد وسيده إنما نشير عليك.فصاح أحدهم: ولماذا لا ـ نتولى نحن مجتمعين تعذيبه بدلاً من أمية؟.. فالتفت اليه أحد الجالسين وهمس فى أذنه: دعه يموت على يد صاحبه، كى لا ـ نخسر قيمته.وامتد بالجالسين الوقت حتى حانت الظهيرة، وقبل أن يتفرقوا اقترح البعض منهم ان يذهبوا مع أمية لمشاهدة بلال فلاقى هذا الطلب من نفس أمية كل الارتياح، ورافق الرجل بعض من القوم حتى إذا أشرفوا على بيوت أمية، ألفوا بلالاً ممدوداً فى ظل جدار، مقوس الظهر من الألم.. وأشار أمية اليه. إنه بلال.وتضاحك المشاهدون، وأكبروا بطولة أمية وحرصه على

حفظ مجد آلهتهم.ودارت الأيام خفافاً وتعقبها أيام، وإذا بأمية بن خلف تكون مهمته أن يخرج بلالاً كل يوم إذا حميت الشمس فى الظهيرة ليطرحه على ظهره فى رمضاء مكة، ثم يأمر بأن تحمل صخرة كبيرة عنده فتوضع على صدره، ثم يصرخ فى جلاوزته: لا ترفعوها عنه حتى يموت او يكفر بمحمد، ويحيد عن دعوة الاسلام.ويطول الانتظار بالمعذّبين فلم يسمعوا من بلال الذى ملأ الإيمان قلبه ثقة واطمئناناً إلا هذه الآيات: (قل هو اللّه أحد، اللّه الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد).ويزاد غيظ أمية ويتضايق من عبده، وكلما حاول أن يقتحم إيمانه وصموده فيقتله، يطلب منه أصحابه أن لا يعمد على فعلته، إنما يزيد فى تعذيبه ليجعله عبرة للباقين.وهيهات فالمسلمون أخذوا بالازدياد، وأصبح لا يرهبهم العذاب، ولا يخيفهم التنكيل، وأمر الرسول (صلى الله عليه وآله) بأن يفاتح أمية بن خلف فى شرائه.وتقدم بعض الصحابة المتمكنين الى أمية، واستوهبوه من مولاه إزاء مال وفير.وأشرقت شمس الحرية على بلال، والرسول الأعظم يتعهده بعطفه وحنانه، وماذا بعد هذا فإذا هو بعد أيام مؤذن رسول اللّه، لا يفارق النبى الكريم فى حله وترحاله.وتزحف جيوش مكة على المدينة، ولم يمر على الهجرة عام ونصف عام فقد سمعت قريش أن محمداً قطع الطريق على قافلة لها عائدة من الشام بقيادة أبى سفيان، وروعهم أن يكون الغازى لمالهم وتجارتهم محمد.وعلى بئر (بدر) – وهى على مقربة من المدينة – تقابل الجيشان لم تكن النسبة متقابلة بين الطرفين، لا فى العدة، ولا فى العدد.. فقد كانت قريش بجمعها ما يعد بألف أو يزيد عليه والمسلمون لم يتجاوزوا الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا، ويتقدم جيش المسلمين على بن أبى طالب، وسعد بن معاذ، يحمل الأول راية المهاجرين والثانى راية الأنصار.والتقى الجمعان فى معركة ضارية، تساقط فيها الأبطال من قريش، وتناثرت قوتهم، ودب الذعر فيهم، بحيث لم يبصروا طريقهم من الخوف والهلع. وانتصر المسلمون فى المعركة..وتوزع المسلمون فى الميدان يتعرفون على القتلى، وينقذون الجرحى ويمر عبد الرحمن بن عوف يحمل ما سلبه من القوم فى طريقه إلى مضارب المسلمين إذ برجلين يلوذان بالقتلى، كى لا يبصر بهما أحد. ويرتفع نداء متقطع أثقله الهم، وأتعبه الجزع. يا عبد الرحمن، ويلتفت الرجل إلى مصدر الصوت فيلمح الرجلين ويقصدهما، ولما دنا منهما عرفهما: أمية بن خلف، وولده على بن أمية – وكانت بينهما صداقة فى الجاهلية – قال له أمية: هل لك فىَّ، فأنا خير لك من هذه الأنواع التى معك – وكانت بيده أدرع سلبها – قال: نعم، قال: نحن فى حمايتك. فطرح ابن العوف الأدرع وأخذ بيد أمية وابنه، ومشينا، وأمية يقول: ما رأيت كاليوم قط.واسترد أنفاسه، ومسح عينيه من الغبار الذى علق بهما وجال بنظراته الشاردة الى المعركة، ثم التفت إلىّ وقال: من الرجل منكم المُعلم بريشة نعامة فى صدره؟ قلت: ذاك حمزة بن عبد المطلب، قال: ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل.وهما بهذا الحديث، ووجهتهما مضارب المسلمين، إذ لمحوا بلالاً مقبلًا فاضطرب امية بن خلف، وبانت الصفرة على وجهه. هذا بلال الذى كان بالأمس يعذبه، فيلح فى تعذيبه، ويقسو عليه فيتمادى فى قسوته. وماذا سيكون مصيره معه الآن، ويعود فيُطَمئن نفسه أنه مع عبد الرحمن بن عوف شخصية له مكانة بين المسلمين فسيدفع عنه الموت.ويقترب بلال من المقبلين، ويعرف أمية بن حلف وابنه فيصيح فى وجهه: رأس الكفر امية بن خلف، لا نجوتُ إن نجوتَ، فيقول له ابن عوف: يا بلال انه أسيرى، وحميته، قال بلال: لا نجوتُ ان نجوتَ. فاحتد عبد الرحمن، وصاح ببلال: أتسمع يا ابن السوداء أنهما فى حمايتى، فلم يهتم لحديثه بلال بل صاح: يا أنصار اللّه، هذا رأس الكفر امية بن خلف. أنسيت أيها الظالم ما كنت تعمله بنا. كنت الى الرمضاء اذا حميت، فتضجعنى على ظهرى، ثم تأمر أن توضع الصخرة العظيمة على صدرى، ثم تقول: هكذا تبقى، حتى تفارق دين محمد.. نسيت هذا يا ظالم، ولذت بابن عوف لينجيك من الموت. لا نجوتُ ان نجوتَ، وأحاط وجماعته بالأسيرين، يقول ابن عوف: وجعلونا فى حلقة كالسوار، وأحدقوا بنا وأنا أذب عنهما، وأدفع وأصيح بهم احفظوا من حميتهم، ولكن دون جدوى.فقد ضرب أحدهم بالسيف علياً فوقعت على رجله، فوقع مضرجاً، وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط، قال ابن عوف فالتفتُ إلى أمية وقلت له: أنج بنفسك، فواللّه ما أغنى عنك شيئاً، ولكن الرجل ما كان يود مفارقة ابنه وهو يصارع الموت ولم تمض لحظة، حتى رأيت بلالاً يتهوى عليهما بالسيف، ويتناوبه اخوان من كل جانب، حتى قطعوهما، وأنا لا أملك شيئاً، وأمام النبى (صلى الله عليه وآله) وقف ابن عوف يقول: يرحم اللّه بلالاً ذهبت أدراعى، وفجعنى بأسيرى.ويرمق النبى بلالاً، وهو يرفع يديه إلى السماء ويقول: (الحمد اللّه الذى ساعد

بلالاً على أخذ الثار ممن عذبه).وبقى بلال مجاهداً مع النبى فى حروبه وغزواته.. وبعد أن لبى الرسول نداء ربه، انتقل بلال الى الشام، وبقى فيها حتى فارقت روحه الطيبة بدنه.وهكذا سجل التاريخ صفحة عن بلال تزهو بالمجد والبطولة الإنسان الذى تحمل فى سبيل عقيدته أنواع العذاب والأذى، حتى ازدهر الإسلام، وقويت كلمته، واندحر أعداء اللّه.

المقداد بن الأسود

وأقبل الشيخ أبو معاذ فى هذه الليلة، وهو يحمل لأصحابه حديث (بدر)، وبدأ حديثه بصوته الهادئ الرزين، وأسلوبه الجميل الجذاب، يشدّ المستمعين اليه، قال: أيها المسلمون: (هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا اليها لعل اللّه ينفلكموها).وبهذه الفقرة القصيرة، استنفر رسول اللّه الناس على أبى سفيان – زعيم المشركين – وهو عائد بتجارته من الشام.فقد كفى ما عاناه المسلمون من قريش، وعنتها وبغيها وظلمها. ولماذا يبقى المسلمون فى تلكؤ، وقد أصبحت من القوة بما يمكنها من مقابلة المشركين، بعد أن ذاقوا منهم الويلات واضطروا الى هجر مكة، والإقامة بالمدينة.والرسول الأعظم لم يقم بعمل سلبى تجاه قريش وأحقادها – طيلة هذه المدة – إلا لأنه لم يلمس فى أصحابه العدة والعددلمقابلة القوم فكان موقفه الدفاع. أما وقد رأى فيهم بعض الإمكانية، فلماذا لا يحرك النفوس، ويمرنهم للهجوم.وكانت خير مناسبة هى اعتراض قافلة أبى سفيان، وهى بتجارة قريش تؤوب من الشام، اشترك فيها أهل مكة جميعهم بحيث لم يبق رجل ولا امرأة استطاعوا أن يسهموا فى هذه القافلة إلا فعلوا، حتى قدرت بخمسين ألف دينار.ولهذا فقد خف الكثير من المسلمين عند أمر النبى لهم بنهب القافلة كما تثاقل جماعة عن الخروج تحسباً للمشاكل التى تستتبعها.يا أبا الحارث: أسمعت نداء الرسول، وهل أنت ملبيه؟.نعم يا أبا معبد.جزاك اللّه خيراً يا أبا الحارث.وكان المقداد بن عمرو البهرانى، والمقداد بن الأسود، أبو عبد اللّه، يهمه كثيراً أمر صاحبه أبى الحارث عتبة غزوان، فقد كانا مسلمين يتكتمان بإسلامهما فى مكة، ولم يتمكنا من التظاهر فى الهجرة مع المهاجرين، وبقيا ينتظران الفرصة المناسبة..وأعلن المشركون أن جيشاً بقيادة (عكرمة بن أبى جهل) يتوجه لغزو محمد، وفى عشية اليوم يزحف القوم.. وقصد عتبة صاحبه المقداد.يا أبا معبد، مناسبة رائعة لو نخرج معهم، وعندما نصل إلى جيش المسلمين ننحاز لهم.نعم الرأى ما تقول.. وانضما إلى الجيش الزاحف. وبلغ الرسول الأعظم نبأ هذا الزحف، فأرسل سرية من المسلمين يتراوح عددها بين الستين، والثمانين نفراً وكلهم من المهاجرين وليس فيهم من الأنصار أحد، وأمر عليهم عبيد بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف.وسار المسلمون حتى بلغوا ماء فى (أسفل ثنية المرة)، ولم تقع بينهما حرب إذ انتهت باتفاق، وانصرف المشركون عائدين إلى مكة..وكانت اللحظة الحاسمة بالنسبة للمقداد وعتبة، فلم يكد ينشغل جيش العدو بأمر عودته، حتى فرَّ المقداد وصاحبه إلى المسلمين.واستقبلهما المسلمون بكل ترحاب، وعند عودتهم إلى المدينة رحب الرسول بالمقداد فقد كان من أصحابه الأوائل.واستمر المقداد بصلته، فلم يكن جديد عهد بالإسلام فهو سابع رجل آمن بالدعوة، وكان يروى الرسول أن اللّه أمر بحب أربعة: على وسلمان وأبى ذر والمقداد، ولهذا عندما وصل إلى المدينة، كان أحد المقربين إلى رسول اللّه، والملازمين له.وكان المقداد متحمساً – بعد أن وصل الى المدينة – لنهب قافلة قريش، وخاصة أن الرسول (صلى الله عليه وآله) يريد ذلك.. ولم يخف على أبى سفيان، وهو فى طريقه الى مكة، أن رسول اللّه استنصر أصحابه على قافلته، فأرسل رسولاً عاجلاً الى قريش يوقفهم على النبأ، وعلمه كيف يثيرهم.ودخل الرسول مكة، وقد قطع أذنى بعيره، وجدع أنفه وحول رحله، ووقف هو عليه، وقد شق قميصه من قُبل ودُبر وهو يصيح: يا معشر قريش! اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبى سفيان وقد عرض لها محمد فى أصحابه، لا أرى أن تدركوها. الغوث الغوث.وهزّ هذا الصياح أرجاء مكة، ووقف الناس كلهم على أهبة الاستعداد، لا بغضاً بمحمد، ولا حباً لأبى سفيان، إنما لكل منهم نصيب فى هذه العير.وهذا لم يمنع أبا جهل، وعقبة بن أبى معيط أن يأتيا الى المسجد وبيد عقبة مجمرة فيها بخور، وبيد أبى جهل مكحلة ومرود، وهما يتنقلان بين المتقاعسين من الخروج لنصرة عير ابى سفيان، يقولان له: استجمر فإنما انت من النساء، او اكتحل فإنما انت امرأة..وتحشدت قريش استعداداً للزحف، ودار فى كل بيت حديث لهم. انها المرة الاولى، فلو تم لمحمد ما اراد لم تبق

لقریش مهابـة بعـدها.ان قریشاً وغیر قریش من الـذین ضاقوا ذرعاً بهذه الدعوة الفتیة، کانوا یخشون هذا الیوم، الذی کانوا یحسـبون له کل الحساب.فهذا محمد الذی تحدثوا عن دعوته کلما جال علی لسانهم من بذیء القول وخشن الکلام، وصبّوا علی أتباعه وأصحابه کلما فی طاقتهم من التعـذیب، والتعسف، وإذا بالأیام تدور، وتصبح له القابلیة علی مقابلتها، فیعتزم مهاجمة عیرها.وتصل اخبار قریش الی الرسـول تباعـاً، وهـو بالمدینـة یتـأهب للخروج، ویجمـع اصـحابه فی رحبـة المسـجد، لیخبرهـم بتصـمیمه علی الغزو، ویطلب رأی المهاجرین، وإذ ضـعُفت نفوس وتخوفت اخری بعد ان بلغهم ان قریشاً زحفت بصنادیدها وقف المقداد وسط الجمع بکل جرأة یقول: یا رسول اللّه، إمض لما امرک اللّه فنحن معک، واللّه لا نقول لک، کما قالت بنو اسرائیل لموسی: (فاذهب أنت وربک فقاتلا إنا ههنا قاعـدون)، ولکن اذهب انت وربک فقاتلا إنا معکما مقاتلون، فو الـذی بعثک بالحق لو سـرت بنا الی برک الغماد [۸] لجالدنا معک، وقاتلنا من بین یدیک، ومن خلفک، وعن یمینک وعن شـمالک.فقال له رسول اللّه (صـلی الله علیه وآله) خیراً ودعا له، وأشرق وجهه وسرَّه، وأعجبه.قال ابن مسـعود: تمنیت هـذا الموقف من المقـداد أن یکون لی هو أحب إلیَّ مما طلعت علیه الشـمس.ثم التفت النبی للأنصـار، وقـال: أشـیروا علیَّ أیهـا النـاس.قال له سـعد بن معاذ: واللّه لکأنک تریـدنا یا رسول اللّه.قال النبی: أجل.قال: فقـد آمنا بک، وصـدقناک، وشـهدنا أن مـا جئت به هو الحق، وأعطینـاک علی ذلک عهودنا ومواثیقنا علی السـمع والطاعـة، فامضِ یا رسول اللّه لما أردت، فنحن معک، فو الذی بعثک بالحق لو اسـتعرضت بنا هذا البحر فخضـته لخضـناه معک ما تخلف منا رجل واحد، وما نکره أن تلقی بنا عـدونا غداً إنا لصُبر فی الحرب، صُدق فی اللقاء، لعل اللّه یریک منا ما تقرَّ به عینک، فسِرْ بنا علی برکة اللّه.وما أن أتمّ سـعد کلامـه حتی هلهلت امرأة من الطرف الآـخر وهی تقول: مرحباً بک یا سیدنا لا فضَّ اللّه فاک.والتفت القوم کلهم الیها، وبـدت علیهم الفرحـة، هذه هی النساء والرجال تشدُّ أزر رسولها فی عزیمته، والبشـری تطفح علی وجوههم، والإیمان یقوی نفوسـهم، ویدور همس بین القوم من المستبشـرة؟ إنها (ام عمارة) یا رسول اللّه، ومعها لمة من نساء الأنصار یعرضن أنفسـهن للنصرة.جزاهن اللّه خیراً فلیرجعن الی أخبیتهن، ففی الرجال الکفایـة.لقـد انـدفع أصـحاب النبی الی الاسـتعداد، فقد بلغ الأمر أن یتنازع الأب والابن علی الخروج، یقول القائلون: تنازع سـعد بن خیثمة مع أبیه أیهما یبقی مع النساء، فقال سـعد لأبیه: إنه لو کان غیر الجنة آثرتک به، إنی لأرجو الشهادة فی وجهی هذا، فقال خیثمة: آثرنی وقرّ مع نسائک، فأبی سـعد، فقال خیثمة: إنه لا بد لأحدنا من أن یقیم فاسهما، فخرج سهم سعد، فقتل ببـدر.ویتحـدث المتحـدثون – أیضاً –: ان عمیر بن ابی وقاص کان صـغیراً، فأخذ یتواری عندما اسـتعرض رسول اللّه أصـحابه فقیل له لماذا تعمل هکـذا یا عمیر؟ فقال: أخاف أن یرانی رسول اللّه (صـلی الله علیه و آله) فیستصـغرنی، فیردنی، وأنا احب الخروج، لعل اللّه یرزقنی الشـهادة. فعرض علی رسول اللّه (صـلی الله علیه و آله) فاستصـغره فقال له: ارجع، فبکی عمیر، فأجازه. وکان یقصـر له حمائل سیفه لصـغره، فقتل ببدر وهو ابن ست عشـرة سنة.وأعلن الرسول ساعة الرحیل فی صباح لم تشرق فیه الشمس بعد من أیام رمضان فی السـنة الثانیـة للهجرة، وعـددهم لم یتجاوز الثلاثمائـة وخمسة أشـخاص.قد ملکوا من الإبل سـبعین بعیراً، وکانوا یتعاقبونها، حتی رسول اللّه، فقـد أردف خلفه علی بن ابی طالب، وزید بن حارثة وذکر ان المقداد کان فارساً.وکانت رایة المهاجرین بید علی بن ابی طالب، ورایـة الأنصار – من الأوس والخزرج – مع سـعد بن معاذ.وبعـد قلیل صاح رسول اللّه بأعلی صوته: (سـیروا وأبشـروا فإن اللّه تعالی قد وعدنی إحدی الطائفتین واللّه لکأنی الآن أنظر الی مصارع القوم).وعلی جانبی الطریق وقفت نساء المهاجرین والأنصار یودعن الرکب الراحل بقلوب مفعمـة بالإیمان والإجلال، وزغردات تبشـر بالنصـر والمجـد.ولم تمضِ أیام حتی تقابل الطرفان یسـتقبلان الحرب ورفع رسول اللّه یـدیه إلی السـماء قائلاًـ (اللهم إنـک أنزلت علیَّ الکتـاب، وأمرتنی بالقتـال، ووعـدتنی إحـدی الطـائفتین وأنت لاـ تخلف المیعاد، اللهم هذه قریش قد أقبلت بخیلائها وفخرها، تخاذل وتکذب رسولک. اللهم نصـرک الذی وعدتنی به).ودارت رحی الحرب سجالاًـ یجول إمام المسلمین علی بن أبی طالب، وحمزة بن عبـد المطلب وغیرهما من أبطال المسـلمین الأشاوس یکشـفون الغبرة عن وجه المسـلمین، ویجندلون الأبطال من المشرکین، وکانوا یکرون علی الأعداء وعلی یصیح، وهو یضرب بطلًا من أبطالهم، خذها وأنا ابن أبی طالب، فیجیبه حمزة، وهو یشد علی الفارس منهم ویجندله، ویصیح: خذها وأنا ابن عبد المطلب، وهکذا بقیة المغاویر.وما هی

إلا فترة من الزمن حتى وضعت الحرب أوزارها وانتصر المسلمون ولاقى من المشركين حتفه كل من أبى جهل وأمية بن حلف، وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة، وغيرهم من قادة المشركين.وانهزمت قريش شر هزيمة، حتى نقل عن عبد اللّه بن عمرو بن أمية قال: أخبرنى من انكشف من قريش يومئذ منهزماً وإنه ليقول فى نفسه: ما رأيت مثل هذا فر منه إلا النساء.وقال آخر: شهدت مع المشركين بدراً، وانى لأنظر إلى قلة أصحاب محمد فى عينى، وكثرة من معنا من الخيل والرّجل فانهزمت فيمن انهزم فلقد رأيتنى، وإنى لأنظر إلى المشركين فى كل وجه، وانى لأقول فى نفسى ما رأيت مثل هذا الأمر فر منه إلا النساء..وطوت المعركة أنفاس عتبة، وشيبة، والوليد بن عتبة وأبى جهل، وأمية بن خلف وأمثال هؤلاء الطواغيت، ولكن أبا سفيان لم يخمد، وهو رأس الفتنة، وزعيمهم.وجنَّ الليل، وقد هدأت الأنفاس المتعبة من ثقل الحرب وهوَّمت العيون، التى أرهقت من يوم عسير الحركة، دامى الوجه.. فخرج رسول اللّه، ومن خلفه من اصحابه يحرسونه منهم على، والمقداد، ووقف على البئر – الذى أمر فطرح به جثث المشركين – وقال: (يا اهل القليب، يا عُتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة ويا امية بن خلف، ويا ابا جهل، – ثم أتى بأسماء بعض من كان منهم فى القليب –: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً، فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقاً.. يا اهل القليب، بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم، كذبتمونى، وصدقنى الناس، وأخرجتمونى وآوانى الناس، وقاتلتمونى ونصرنى الناس، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقاً؟).فقال المسلمون: يا رسول اللّه، أتنادى قوماً قد أجيفوا قال: (ما أنتم بأسمع لما اقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون ان يجيبونى).وعاد المسلمون الى المدينة والنصر يرفرف عليهم، ولكن الأيام لم تدع المسلمين فى راحة. فقريش لم تنم على ضيم، وبقيت تلاحق النبى كلما ساعدتها ظروفها من غزوة الى اخرى، والمقداد الذى اخلص لنبيه، وآمن بدعوته، كان لساناً صادقاً له، وسيفاً مخلصاً فى وجه أعدائه، لم تمنعه مانعة عن مصاحبة نبيه فى غزواته ولا تقاعس عن نصرته لحظة ما.وآخى الرسول (صلى الله عليه و آله) بين المقداد، وبين عبد اللّه بن رواحة وقيل بينه وبين ابى ذر الغفارى..وكان موقفه المشرف يتجلى مع على بن ابى طالب بعد وفاة الرسول، فقد وفى له، يخوض غمار الموت دونه، ويدفع عنه الأخطار ما استطاع، وشهد فتح مصر ولم يتخلف عن واجبه الدينى، فهو جندى فى ساحة الميدان، وموجّه فى مضمار الدعوة وأمين على الدعوة يوم تزعزع الناس.رحم اللّه المقداد، فقد كان من الفضلاء النجباء، الكبار الأخيار من اصحاب النبى (صلى الله عليه و آله) وممن رعاهم بعنايته، حتى روى عنه انه قال أكثر من مرة: (أمرنى ربى يحب اربعة، وأخبرنى انه سبحانه يحبهم وهم: على، وابو ذر، والمقداد، وسلمان).وفى عام ۳۳ لبى نداء ربه فى ارضه بالجرف، وحمل الى المدينة فدفن بها وكان ابن سبعين.وإذا مرَّت هذه السنين الطوال على وفاة المقداد، فله فى أفكار المسلمين ذكرى عطرة، وصفحة مشرقة تمتد مع الأيام وشروق الاسلام.

ابورافع

أسمعت أحاديث مكة وشعابها، يجتاح شيوخها، ويمرّ بكهولها، ذلك حديث فتى عبد المطلب، ودعوته الجديدة.حديث شيق يا أبا مناف، ينساب إلى قلبى انسياب العطر.– كفى. كفى يا وليد. أفيك قوى لتحمل سوط قريش ومكاويهم الحديدية. اسكت بحق صاحب هذا البيت. هذا الشيخ أقبل علينا، وأخشى أن يكون أحد من القوم فيصيبنا بسوء.وأقبل الشيخ يقترب رويداً رويداً حتى إذا وضح لهما فإذا به (أبو رافع مولى العباس بن عبد المطلب) وقد عَلَت ثغره الأسود ابتسامة مشرقة، وانضم إلى صاحبيه.كيف أنت يا أبا رافع اليوم، أذهبتَ إلى دار الأرقم، أسمعت من حديث الرسول محمد (صلى الله عليه و آله) أعذبه وأنداه.لو أتيت هذه الليلة معنا يا أبا مناف لرأيت من عطف نبى الرحمة الشىء الكثير.وظهر على القوم دفعة أمية بن خلف، وقد علته موجة من السخط والكراهية، ومر بهذه الحلقة، ويكاد لا يلتفت لها، وخيم الوجوم على الجالسين، ولكن ما ان اجتاز الثلاثة بخطوات حتى عاد وألقى نظرة عليهم، وما إن وقعت على أبى رافع، حتى هجم عليه والشرر يتطاير من عينيه، وأخذ يلعب بسوطه على جسمه دون رحمة وشفقة، وأبو رافع يتلوى بين يديه، وإذا ما كلت يداه من الضرب، وقف وهو يسحب أنفاساً مهترئة، وهى تكاد تلفح وجهه بلهيبها.والتفت اليه وهو يهذر بصخب: لو

عـدت لـدار الأرقم لكويتك بالحديـد.وزحف ابو رافع وهو يجمع قواه يئن من آلامه ليذهب تواً الى بيته، وعيناه قد شدت الى الكعبة، وهو يتمتم كلمات تكاد تموت على شفتيه لانهيار قواه.كان ابو رافع يجتمع فى بادئ امره بإخوان له من موالى العرب، وكانت احاديث دعوة محمد تلهج بها أندية مكة وحلقات سـمرها. وابو رافع يستمع لها بشىء من الاهتمام، وكلما تعرف على جديد من تلك الأخبار، خفق لهـا قلبه، ونبض صـدره، غير انه لاـ يعرف سـر هـذا الخفقـان، وتلـك النبضـات المتواليـة، وبمرور الزمن انحاز الى اخبار الـدعوة الجديدة، وتتبع احاديثها، بكل شوق ولهفة وحتى اصبح يوماً ما من جملة أعضائها.ولكن ابا رافع ما كان فى امكانه – وفى وقته المبكر – ان يجهر بأمره، وان كان فى الواقع فى منعة من ظلم قريش، لأنه مولى العباس بن عبد المطلب، وللعباس حرمة ومكانة.وبطبيعة الحال كانت قريش تسـتأثر بحديث الرسول بالقسط الأوفر، من يومها، لأن الأمر كان يتعلق بهم قبل كل قبيلة فهو ان جلس الى فتيان اسياده، كان يلتهم احاديثهم عن الدعوة وان كان بعضهم لم يمل اليها، أو لم يعلن إسلامه بعد.حتى كان يوم تحدثت مكة بصراحة عن إسلام العبـاس نفسه فطـار ابو رافع فرحـاً بهـذه البشـارة، وأزاح عن كاهله ثقلًا كبيراً ثقل الكتمان والتستر.وعرف الناس بعدئـذ ان ابا رافع من جملـة الـذين انضـموا الى دعوة محمـد رسول اللّه، ودخـل يومهـا ابو جهـل الى البيت وهو يحرق الارم، والتقى بزمرته وصاح بغضـب متناهى حتى أبى رافع ذلك المولى القبطى صـبا لدين فتى عبد اللّه، وحق اللات والعزى ان ظفرت به لأتركه طعمة للوحوش، وأشـفى بـدمه غليلى. ولكن رجلاًـ من القوم التفت اليه وقـال: مهلاًـ يـا أبا الحكم لا تظهر قواك على الموالى والضـعفاء، أما علمت أن العباس نفسه قد تبع محمداً، فلو كنت شجاعاً لذهبت اليه، وتركت جسمه طعمة للوحوش، كما نويت أن تعمله مع ابى رافع؟.وسكت ابو جهل على مضـض، وفى قلبه شـعلة من حقد، لقد ضاق ذرعاً بما يطوى عليه نفسه، وقد أخذ امر المسـلمين يشـيع وينتشر، ويتلقاه الناس بكل مسرة واستبشار، ويستقبلون كل يوم اسماً جديداً ينداح لحوزة النبى كما ينداح العطر فى الروضة الغناء، فتلهج أندية مكة بحديثه، حتى اذا ما أطل اسم جديـد لهجت بـذكره، ولاكت حـديثه، والناس تواقـة لكل جديـد وهكـذا دواليك.وتحـدث العرب عن اسم أبى رافع كشـخص جديـد لمع اسـمه ثم حرره الرسول بشارة لإسـلام العباس، واسـتطال الحديث الى ان هذه الدعوة تحاول تحرير الرق وترك هذه العادة السقيمة وهذا ما يثير الرعب فى قلوب الكثيرين، وتكون لأبى رافع مكانة لدى الصفوة الطيبة من المسلمين، وكيف لا تكون كـذلك والرسول الأـعظم يعطف عليه لأنه من هـذه المجموعـة المستضـعفَة التى اكتوت بعـذاب قريش وهى تزداد صـلابة كلما تفنن الكـافر الأـرعن فى أساليب التعـذيب والإبادة معهم.فأمس تحـدثت مكـة عن اسلـوب الطغاة فى معاقبـة ياسـر وعمار وأمه، وبعـد برهة تحـدثت عن تعـذيب بلال والخباب، ولقد كانت مكاوى الحديد المجمرة تلمع فى أيدى ابى جهل وجلاوزته وهى تترنح على أجسام هؤلاـء المستضـعفين الـذين صبوا الى دعـوة الرسـول، فلم ترقّ لهم قلـوب ولم تلِنْ لهم نفوس.وهـاجر النـبى الى المدينـة، تاركـاً مكة وقريش وحقدها وضـغنها، ولم تمر الأشـهر على الطغاة بالشـروق والأمل، فقد عزَّ عليهم، أن يسلم محمد وأصحابه، ويتوطد أمر دعوته فى يثرب وكـانت تتحين المناسبة للهجوم عليه، حتى كـانت (بـدر).وكـان اجتماعهم فى دار النـدوة عاجلًا للبتّ فى طلب ابى سـفيان وقرروا الاسـتجابة للطلب وكـان من بـدر مـا كـان.وبقى فى مكـة من بقى يتصـيد الأخبار، ويتعرف على المسافرين، علَّهم يحملون من أخبار قريش ما يسـعد يومهم وينير ليلهم.. وعاشت مكة ردحاً من الزمن على أعصابها لم يبلغها قدوم أحد، إلا وهرعت اليه.. وانقطعت الأخبـار وكادت القلوب المتلهفـة لسـماع نبأ جيشـها تتقطع.. طال الانتظار ودبَّ القلق، وانسابت الوساوس الى الأذهان تحرك المشاعر وتثير العواطف، ولحظـة الانتظار أشـد ما يعانيها الانسان.يحـدثنا أبو رافع مولى رسول اللّه، فيقول: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد فشى فينا أهل البيت، فأسلم العباس، وأسلمت أمُّ الفضل زوجته وكان العباس يهاب قومه، ويكره خلافهم فكان يكتم إسـلامه وكـان ذا مـال كثير متفرق فى قومه، وكـان عـدو اللّه أبو لهب قـد تخلف عن بـدر، وبعث مكـانه العـاص بن هشام بن المغيرة وكـذلك كـانوا صـنعوا، لم يتخلف رجـل إلاـ بعث مكـانه رجلاًـ فلما جاء الخبر عن مصاب أصـحاب بـدر من قريش، كبته (ذله) اللّه وأخزاه، ووجدنا فى أنفسـنا قوة وعزاً.قال: وكنت رجلًا ضـعيفاً، وكنت أعمل القدَاح، أنحتها فى حُجرة زمزم، فواللّه إنى لجالس أنحت أقـداحى، وعنـدى أم الفضـل جالسـة، وقـد سـرنا مـا جاءنـا من الخبر، إذ أقبـل الفاسق أبو لهب بجر رجليه بشـرّ، حتى جلس إلى طنب

الحجرة، فكان ظهره إلى ظهرى فبينا هو جالس إذ قال للناس: هـذا أبو سـفيان بن الحارث بن عبـد المطلب قـد قـدم - وكان شـهد مع المشـركين بـدراً -، فقال أبو لهب: هلم يا ابن أخى فعنـدك واللّه الخبر قال: فجلس اليه، والناس قيام حوله، فقال: يا ابن أخى، أخبرنى كيف كان أمر الناس؟ قال: لا شـىء، واللّه ان هو إلا لقيناهم فمنحناهم أكتافنا، فقتلونا كيف شاؤوا، وأسـرونا كيف شاؤوا وأيم اللّه مع ذلك ما لمت الناس۷ لقينا رجالا بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض، لا واللّه ما تبقى شيئاً، ولا يقوم لها شىء.قال ابو رافع: فرفعت طنب الحجرة، ثم قلت: تلك واللّه الملائكة، قال: فرفع أبو لهب يده، فضرب بها وجهى ضربة شديدة، ثم احتملنى فضرب بى الارض، ثم برك علىَّ يضـربنى وكنت رجلاً ـ ضـعيفاً. فقامت ام الفضل الى عمود من عُمـد الحجرة فأخـذته فضـربته على رأسه، فشـجته شـجة منكرة، وقـالت: استضـعفته إذ غاب سـيده، فقام مولياً ذليلًا، فواللّه ما عاش إلا سبع ليالى، حتى رماه اللّه بالعدسـة [۹] فقتله.هكذا تلقى القرشـيون خبر الهزيمة وخسـران المعركة.ويقف ابو سـفيان وهو مشدوه بما أصـيب من نكبة، يصـيح والحقد يغلى فى صدره: يا معشر قريش، لا تبكوا على قتلاكم ولا تنـح عليهم نائحة، ولا يندبهم شاعر، وأظهروا الجلد والعزاء فإنكم إذا نحتم عليهم وبكيتموهم بالشـعر أذهب ذلـك غيظكم فـأكلّكم ذلـك من عـداوة محمـد وأصـحابه، مع أن محمـداً إن بلغه وأصـحابه ذلـك شـمتوا بكم فتكون أعظم المصـيبتين ولعلكم تـدركون ثأركم، فالـدهن، والنساء علىّ حرام حتى أغزو محمداً.وإذ كان ابو سـفيان يتنقل فى بيوتات قريش، وهو مخـذول مهزوم يطلب منهم الجلـد والصبر، كانت زوجته هنـد بنت عتبـة من جانب آخر تقول لنساء قريش ذهبن لتعزيتها فقلن لها، ألا تبكين على أبيك وأخيك، وعمك، وأهل بيتك، فقالت: حلأنى (منعنى) أن أبكيهم، فيبلغ محمـداً وأصـحابه فيشـمتوا بنا وبنساء بنى الخزرج، لا واللّه حتى أثأر محمـداً وأصـحابه. والـدهن علىّ حرام ان دخل رأسـى حتى نغزو محمـداً، واللّه لو أعلم الحزن يـذهب عن قلبى لبكيت، ولكن بما لا يـذهبه إلا أن أرى ثأرى بعينى من قتلة الأحبـة، تقول الرواية: فمكثت على حالها لا تقرب الدهن، ولا قربت فراش ابى سـفيان من يوم حلفت حتى كـانت وقعـة أُحـد.لقـد أخلص ابو رافع للنبى الأـكرم، حتى أصـبح جزءاً من صـفوته، فى ركابه بغزواته، وموكلاً ـ على ثقله، وأميناً على مـاله فقـد قال رسول اللّه يوماً، وهو فى جموع حاشـدة بين يـديه: (يا أيها الناس، من أحبَّ أن ينظر الى أمينى على نفسـى وأهلى، فهـذا ابو رافع أمينى على نفسـى).وكان هـذا أرفع وسام يقلده رسول اللّه، وأعظم فخر يناله بشـرف الاسـلام.ودخل ذات مرة ابو رافع دار النبى، فوجـد رسول اللّه نائماً، وعلى مقربـة منه ثعبان عظيم يزحف باتجاه الرسول، وذهل الرجل الشيـخ من هـذا الأـمر، وحـاول ان يوقـظ النبـى (صـلى الله عليه وآله) ولكنه عز عليه ان يقلق على الرسول نومه، وصـمم على التضـحية وتقدم فاضطجع الى جنب النبى باتجاه الثعبان بحيث فصل بينهما ليكون هو ضحية إذا قدم على الزحف، وكان هذا أعذب ما يدور فى خـاطره.واستيقـظ الرسول الأعظم (صـلى الله عليه وآله)، فألفى أبا رافع الى جانبه مسـتلقياً، وعلى بضـعة أمتار يقف ثعبان، وعرف جلية الأمر ورفع الرسول طرفاً خاشـعاً الى السـماء ليدعو اللّه ان يوفق أبا رافع.وتمر الأيام ثقيلة السير، مليئة بالأحداث، قد لبى الرسول الأعظم نـداء ربه، والزمن يطوى خطواته، وأبو رافع قـد اسـتقر فى خيبر يزرع أرضـاً له هناك.وأعلن الإمام على (ع) حربه - على معاويـة، وفى الشدة تعرف الرجال - وأخذ يجمع أصـحابه من حوله ما يقتضـيه لتلك الحرب.وانتشر النبأ يسرى كالبرق فى أرجاء الجزيرة العربية أن علياً عزم على قتال معاوية، وعلم ابو رافع بجلية الأمر كما سـمع غيره.وعندما أصبح الصباح أعلن ابو رافع بأنه عازم على السفر الى على (ع).- يـا أبـا رافع أنت شـيخ طـاعن فى السن أخـذت من العقـد التاسع نصـفه، وقـد سـقط التكليف عن الشـيوخ، فالجهاد لغيرك.- لا تتحـدث بمثل هـذا أبـداً، إن القتال مع على عبادة، لقـد أصـبحت لا احد بمنزلتى، بايعت البيعتين: بيعة العقبة، وبيعة الرضوان، وصـليت القبلتين وهـاجرت الهجرات الثلاث: مع جعفر بن أبى طـالب إلى الحبشـة، ومع رسول اللّه (ص) إلى المدينـة ومع على بن أبى طـالب سأهاجر إلى الكوفة.يا أبا رافع: وأرضك ودارك.- غداً سأبيعها.وكان ما أراد، وقف إلى جانب على فى حروبه مجاهداً صابراً ومعاوية لم يتوان عن إغراء أبى رافع بالمال، والمكانـة، والسـلطان ولكن صـلابة هذا الصـحابى الجليل، وصـموده الحديدى العجيب فى خدمة الإسلام، كانا أقوى من أن تنهار أمام أموال معاوية ومواعيده المعسولة.

جعفر بن ابيطالب

كان الشيخ ابو معاذ مرهقاً فى ليلته هذه، أثقله يوم متعب هدَّ من جسمه وأوغل فى إيلامه، ورغم هذا فقد جاء الى مجلسه كعادته.. ولمس الجميع عليه بوادر العاصفة الثقيلة على وجه محدثهم.وقال الشيخ ابو معاذ، وهو يجاهد نفسه مجاهدة على الكلام: كانت ليلة قاسية جداً على أبى طالب، وهو يرقب عودة ابن أخيه، وقد مرَّ شطر كبير من الليل ولم يعد. نصف الليل انقضى، ومحمد لم يظهر له أى أثر، ومعه على، ولكن أبا طالب وزوجته لم يهمهما أمر ولدهما على بقدر ما يهمهما أمر محمد.. وكيف لا يفكر فى أمره، وقريش تتحين له الفرص لتُنزلِ به السوء، فقد توسمت فيه خطراً مقبلًا عليها.ومرّ الثلث الثانى من الليل، ولم يعد محمد، وأقلق الشيخ الوقور هذا الغياب ولا ـ يريد أن يعلن الخبر، وأخذ يسأل عنه هنا وهناك كالملهوف، لم يتمكن من الهدوء أمر ولده جعفر أن يأخذ سلاحه، ويخرج معه، وبدآ البحث. وطلع عليهما الفجر وهما فى بعض جبال مكة، وإذا بمحمد فى أعلاه، واقف وعلى يمينه على يصليان، يركعان ويسجدان.ودبّت الطمأنينة إلى قلب الرجل الحنون، وهدأت أعصابه واستردّ أنفاسه، وجلس وهو يشد نظراته إلى هذا المنظر، ثم لم يلبث أن أخذ يد ولده جعفر وجعله إلى يسار النبى، وقال له: «صل جناح ابن عمك»، وانساب الفتى اليافع مع ابن عمه وأخيه يركع ويسجد، حتى أكملوا جميعاً صلاتهم، وعادوا إلى شيخ الهاشميين، والسرور يطفح على وجوههم، وهزَّ السرور والاعتزاز الرجل الوقور، فأخذ ينشد:إن علـــــــيّاً وجعفراً ثقـتى عند ملم الزمـــان والنوبلا تخذلا، وانصرا ابن عمكما أخى لأمى من بينهم وأبيوالّله لا ـ أخــــذل النـــبى ولا يخذله من بنــى ذو حســبثم التفت محمد إلى جعفر وهو يقول:(يا جعفر وصلت جناح ابن عمك، إن اللّه يعوضك من ذلك بجناحين تطير بهما فى الجنة).وبقيت هذه الكلمة الكريمة ترنُّ فى أعماق فتى أبى طالب وهو لا يحب أن يفارقها فى خواطره، عزيزة عليه كفجر ساحريمتد فى قلب السماء فيزيح عنه الظلام ويشتت منه طيوف المساء القاتم.ويعيش جعفر فى ظل هذه الاشراقة الإيمانية، ويغمض عينيه فى كل ليلة على خواطر عذبة تحمل من أمانى ابن عمه رسول الإنسانية ما تفعم قلبه بالأمل والخير والازدهار..وتتوثق الصلة بين الفتى المؤمن، وبين ابن عمه الداعى إلى الحق وكلما امتد الزمن ازدادت العلاقة، حتى يصبح جعفر عضواً فى الأسرة المؤمنة، وتعرف قريش بذلك وتثور على هذا النبأ، إن عدد المؤمنين بهذه الرسالة الجديدة بدأ يتضخم شيئاً فشيئاً، ولم يقف فى وجهها البطش والعنف، تزداد على مر الأيام.وجعفر وإن كان فى مأمن من عقاب، وأذى الطغمة الحاقدة لأنه محفوظ بقوة أبيه، ولكنه لم يسلم من بقية المشاكل التى لحقت بالصفوة الطيبة من صحابة النبى (صلى الله عليه وآله)..وقررت قريش مقاطعة بنى هاشم، كما قاطعت كل أصحاب محمد، وأمعنت فى إيذاء من تستطيع إيذاءه، وبكل صورة وكل أسلوب، وتعملق الاضطهاد قاسياً على هذه الطبقة، فقابلوه بصمود عجيب، وكلما تكاثرت المجن، وتواترت الخطوب، تقوت العزائم، وتضخم الصبر وتجلى الثبات.. فتحملت الصفوة الطيبة كل أنواع القسوة، فلم يشكو أحدهم إلى النبى ما يعانوه من الظلم كما لم يظهروا السأم أمامه. فكل شىء فى ذات اللّه يهون.وطرق الخبر أسماع قريش. وهالهم النبأ، فقد هاجر الكثير من صحابة محمد حاملين لواء الدين الجديد. وطاش عقلهم فقد ذهلوا من ترويع ما أُصيبوا به.. فلت المستضعفون، والعبيد من بين أيديهم، وبقى الأقوياء الذين لا ـ سبيل لهم على تعذيبهم وسيكون لهم شأن فى الخارج، فأخبار الدعوة تنتشر فى الخارج بعد ان كانت محصورة بمكة، وسيعطى المهاجرون عنها صورة رائعة المعالم شأن أى مخلص لقضيته.وانعقد المجلس فى دار الندوة يضم زعماء المعارضة، وكلهم أعصاب متفجرة من توسع هذه الدعوة، ويصرخ فيهم ابو جهل: أرأيتم كيف نجا أصحاب محمد، ولو قتلناهم لما امتد شرهم الى الخارج، لما انتشر خطرهم فى تلك الأرجاء، وما ندرى ما وراء الأكمة لنا.وغصّ بكلامه، فقد مضَّ به التأثر بحيث انتفخت أوداجه وجحظت عيناه، ثم انبرى له أمية بن خلف، وجبل من الهم يجثم على ملامحه، وهو يعالج الكلام، وماذا نعمل يا أبا الحكم وقد أُخذنا على حين غرة؟.. أخبرنى ولا تلح بالتعزير، وارفق بقومك من اللوم، ما العمل الآن؟ لم نقصر فى تعذيب المستضعفين ولم نتهاون فى شأن من نتمكن عليه بإنزال أقصى العقوبات، حتى مات من مات، ونجا من نجا.خيم وجوم على الجالسين، وكلهم لاذوا فى تفكير عميق..وكان جل تفكيرهم بالطريقة التى يمكن استرداد هؤلاء المهاجرين من النجاشى.. وأخيراً انتهى بهم التفكير الى حل.. وصاح بهم ابو سفيان: ما هو الحل يا قوم؟

قالوا: نطلبهم من النجاشى فإن لم يجبنا قاتلناه ونأخذهم بالجبر والقوة.. وضحك عالياً صخر بن حرب من هذا الرأى، وقال لهم: وكيف تفكرون بمثل هذا، وهل اننا نستطيع ان نقاوم ملك الحبشة؟ دعونا من الحرب، وفكروا فى طريقة اخرى.ومضت برهة من الزمن والقوم سكوت، وهم يبحثون عن وسيلة يجتثون بها الخطر الذى ربض لهم فى الحبشة، يهدد مصالحهم وأمجادهم البالية.وأدار صخر بن حرب عينيه المشبعتين بالحقد والشرر فى وجوه القوم، فلم ير منهم توصلًا الى حل، وتحدث وهو يدحرج الكلمات الملفعة بالألم والحزن، وكأنه يقتطعها من قلبه، قال: الرأى أن نرسل الى النجاشى وفداً يحمل له الهدايا والتحف ويقنعه على ان هؤلاء المهاجرين بغيتنا، ولنا معهم ثأر، فنطلبهم منه.. ثم سكت قليلًا، وعاود الحديث: وطبعاً هذا الأمر يتوقف – الى حد كبير – على قابلية الوفد، ولباقته، وحسن تصرفه..وكأن هذا الاقتراح أصاب قبولاً من الجالسين، فصاحوا كلهم: هو الرأى، لا عدمناك يا أبا سفيان، فأنت من يستشار ومن هو أولى منك بالعطف على آلهتنا.(ما أدرى بأيهما أنا أشد سروراً: بفتح خيبر، أم بقدم جعفر)؟.كانت ساعة رائعة عند النبى، وهو يستقبل الصفوة المؤمنة من صحابته الكرام الذين فارقوه منذ زمان حفاظاً على دينهم وأنفسهم.ثم مع آل أبى طالب فقبل قليل فتح اللّه خيبراً على يد على بن أبى طالب بعد ما ارتد عن فتحها أبطال وأبطال، ثم لقاء جعفر بن أبى طالب من هجرته منتصراً على الباطل، وهو يحمل مشعل الإسلام، وفى هذا كله ما يبعث على الاعتزاز.ولم يكن جعفر بعد عودته من الحبشة، قد اعتزل دنياه البطولية، فقد بدأ دوراً جديداً بعد عودته.. دور القائد الذى يكلف بمهام عسكرية لها أثرها البعيد على امتداد الإسلام، وتوسع آفاقه الرحبة.فلم تُطل السنة الثامنة من الهجرة – ولم يمر على عودته إلا عام واحد – حتى انتدبه الرسول القائد لمحاربة هرقل ملك الروم فى بلاد الشام.. واستعد المسلمون وحان يوم الوداع، وتأهب الجيش، وأعلن النبى عن قادة هذا الجيش: جعفر بن أبى طالب وزيد بن حارثة، وعبد اللّه بن رواحة، يتناوبون على امارة الجيش..وفى مؤتة من أرض الشام، دارت الحرب حامية تهز الرجال عنيفة تثير الشهامة، وراية محمد ترف بيد الأبطال الثلاثة، لا يهابون الموت، ولا يخافون القتال. وجعفر من القادة الثلاث بطلًا عرفته البطولة كيف تنحاز اليه خاضعة، وشجاعاً مغواراً تمرَّن على تمثيلها خير تمثيل..وكلما استمر زمن الحرب، حمى وطيسها، وجعفر يحمل راية الإسلام، ويزحف بجيشه، ويغوص فى أعماقه، فيجندل هذا، ويهزم ذاك، حتى ضاقت الفرسان منه وصعب عيها أن تشق طريقها بين جثث القتلى، واضطر هو نفسه أن ينزل عن فرسه ليجول بين القوم – فلم تملك الخيل طريقاً تسلكه فى ساحة الميدان – غير هياب، ولا متزعزع.. بطل ولا ـ كالأبطال ومحارب ولا ـ كالمحاربين، ورث البطولة من أب وجد، وتمرَّس على الحروب وهو بعد لم يبلغ سن المحاربين، وفوق هذا وذاك انه محارب من أجل عقيدة، ومجاهد فى سبيل دعوة عاش أبعادها ووعى حقيقتها.وقطعت يده اليمنى فى ساحة القتال، ولم يشغله أمرها مهما كان الألم الذى هجم عليه، بل همه أن لا تنكس الراية التى يجول بها، وعيون المسلمين مشدودة اليها. وأخذها بشماله، وخاض غمار الحرب، وطاف فى خضمها، ولم يأبه بما أصيب، هكذا شأن الأبطال القادة، إنما جلُّ همه أن لا تسقط الراية فاحتضنها.

فى النهاية

وأخيراً، وليس آخراً..نصل بالقارئ الكريم الى الحلقة الأخيرة من القسم الأول من هذا الكتاب، ويسكت محدثنا الشيخ ابو معاذ – ونرجو أن لا يطول سكوته – وهو ينقلنا فى آفاق السيرة المباركة..نستنير بنورها، ونهتدى بهداها، ونحن فى خضم الأيام الصعبة من مسيرتنا التأريخية.. ونستجلى الروعة النضالية من حياة أبطالها الأفذاذ ليكونوا لنا خير قدوة فى الشوط الذى نقطعه فى مضمار الحياة.والروعة فى هؤلاء المجاهدين إخلاصهم لعقيدتهم.. وأروع منه أنهم يتهافتون على الموت عشاقاً من أجل رسالتهم دون ضجة وتهويل.

پاورقى

[۱] هکذا وصفه وحشی: ویرید بالجمل الأورق، الذی لونه بین الغبرة والسواد، سماه کذلک لما علیه من الغبار.

[۲] الحرة: کل أرض ذات حجارة سوداء.

[۳] قباء: قریة علی میلین من المدینة.

[۴] کان المنافقون یسمون المهاجرین: بالجلابیب.

[۵] یشیر ابن هشام الی هذا المصطلح کان یقصد من الخزرج: الخزرج والأوس

[۶] الازر: النساء. والمرأة قد یکنی عنها بالازار، کما یکنی أیضاً بالازار عن النفس.

[۷] کانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار: دمی دمک، وهدمی هدمک، أی ما هدمت من الدماء هدمته أنا.

[۸] برک الغماد: موضع بناحیة الیمن، ویقال: هو أقصی هجر.

[۹] العدسة: قرحة کالطاعون قاتلة، شرح النهج: ۱۴ – ۱۸۲ هجری ۱.

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحـار الأنـوار، للعلاّمـة فیض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللّهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت – علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّـِی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التـِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّـة الحالیّـة لهـذا المرکز، شـَعبیّـة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّـها لا تُـوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.



مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹